الفصل الأول

نشأة الجبهة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧م

وأثرها على الواقع العربي وعلى فصائل العمل الوطني الفلسطيني

شهد مطلع عام ١٩٦٧ تصاعداً في حدة التوتر على الجبهة السورية – الإسرائيلية، نجم عنه تزايد التهديدات الإسرائيلية بشن هجوم واسع على سوريا، لمنعها من الاستمرار في تقديم الدعم للعمليات الفدائية الفلسطينية. وكانت سوريا بعد التغيير السياسي الذي تم فيها في شباط/ فبراير ١٩٦٦م قد تبنت موقفاً داعماً للعمل الفدائي الفلسطيني، كما زادت من تقاربها مع مصر، ووقعت معها – بمباركة من الاتحاد السوفيتي – معاهدة دفاع مشترك في تشرين الثاني من العام نفسه.

وقد نفذت إسرائيل في السابع من نيسان/ إبريل ١٩٦٧م تهديدها بالفعل وقامت بالاعتداء على المناطق الحدودية السورية، مما أسفر عن وقوع صدام واسع بين الطرفين، وأمام هذا التصاعد في حدة التوتر، طالبت الحكومة المصرية – في خطوة هدفت إلى ردع إسرائيل – بانسحاب قوات هيئة الأمم المتحدة من الحدود المصرية الإسرائيلية، ومن ثم من منطقتي غزة وشرم الشيخ[1].

كما اجتمعت القيادة السياسة بين مصر والعراق، وفي ٢١ أيار/ مايو ١٩٦٧م، أسهم العراق، بإرسال قوات برية وطائرات للاشتراك مع الجيش المصري في سيناء[2].

وقررت مصر في الثالث والعشرين من آيار/ مايو من العام نفسه، إغلاق خليج

(١) الشريف: البحث عن كيان، مرجع سبق ذكره ص١٤٣.

(٢) غازي ربابعة: الاستراتيجية الإسرائيلية للفترة من (١٩٦٧ – ١٩٨٠)، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٧، ص٤١.

العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، وفي الثلاثين من الشهر نفسه انضم الأردن إلى معاهدة الدفاع المشترك بين مصر وسوريا [1].

وقد شن الطيران الإسرائيلي في صباح الاثنين ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧م، هجوما كثيفا صاعقا على القوات المصرية، ودمر الطائرات المصرية على الأرض في ثلاث ساعات. وفي ستة أيام استطاعت القوات الإسرائيلية أن تهزم الجيوش العربية على ثلاث جبهات، وأن تحتل كل سيناء وقطاع غزة وصولاً إلى قناة السويس وكل الضفة الغربية حتى نهر الأردن، ومرتفعات الجولان التي تبلغ مساحتها ألف كم٢ من الأراضي السورية، كما احتلت إسرائيل القطاع الأردني من مدينة القدس وضمته إلى القدس الغربية، وكانت نتيجة الحرب كارثية، فهي من أسوأ ما حل بالعرب من كوارث في تاريخهم الطويل [2].

وقد فجرت حرب ١٩٦٧م في الذات العربية تيارات ذات أيديولوجيات محافظة، وتيارات ذات إيديولوجيات ثورية قومية وحدوية [3]. فلم تكن الهزيمة عسكرية فقط، بل كانت هزيمة لمجموع التكوين الطبقي، والاقتصادي، والعسكري، والأيديولوجي لحركة التحرير الوطني الفلسطينية والعربية [4]. نتيجة

(١) الشريف: البحث عن كيان، مرجع سبق ذكره، ص١٤٣.، أنظر أيضاً: مذكرات محمود رياض: ١٩٤٨ – ١٩٧٨ البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٩.

(٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، قبرص ١٩٨٣، ص ١٧١ – ١٧٢.

(٣)) لطفي الخولي: حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ٣٠ سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٨ – ٩.

(٤)) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: التقرير السياسي الأساسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، آب/ أغسطس ١٩٦٨، ص١٢.

تخاذل الطبقات العربية الحاكمة، وانهيارها أمام الهجمة الصهيونية الإمبريالية، واستهدفت فرض الوجود الإسرائيلي غير المشروع على الأرض العربية، وإجبار الشعوب العربية على الرضوخ والتسليم بالأمر الواقع، لكي تبقى إسرائيل قاعدة ورأس حربه للاستعمار الجديد، في محاولة للسيطرة على الدول العربية، ونهب ثرواتها، ولضمان استمرار مصالحه واحتكاراته، وذلك باستغلال الأنظمة العربية وسياستها المحافظة والمعادية للجماهير"(١).

وكان للحرب عدة آثار رئيسة، وإن كان بعضها متعارضا أحياناً، فقد لطفت من موقف الدول العربية الأساسية تجاه إسرائيل، لكنها في الوقت نفسه أدت إلى تعقيد عملية السلام، من خلال ربطها بالتنافس مع الدول العظمى، وأدت الهزيمة إلى تراجع تدخل الدول العربية في شؤون بعضها البعض، كما أفسحت المجال لفترة من عدم الاستقرار الداخلي في دول المواجهة الأربع، فشجعت الدول العربية إلى التركيز على منطق الدولة ومصالحها على حساب الالتزام الخطابي بالوحدة العربية وبالقضية الفلسطينية، وبدا هذا التركيز في أقوى صوره من خلال ردود الفعل العربية على الصعود السريع للحركة الفدائية الفلسطينية، التي أدخلت عاملاً دينامياً ومزعزعاً للاستقرار في السياسة العربية بعد الحرب، وهددت الاعتدال الدبلوماسي، والبرامج القطرية الخاصة لدول المواجهة"(٢).

ومن جهة أخرى، كانت للنكسة نتائج مباشرة على الصعيد الفلسطيني، تمثلت في سقوط الرهان على دور الجيوش في خوض معركة التحرير، وتحرر العمل الكفاحي

(١) غازي خورشيد: دليل حركة المقاومة الفلسطينية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧١، ص١٤٩.

(٢) يزيد الصانع، الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص٢٢٩.

الفلسطيني من قيود الوصاية الرسمية العربية[1].

وكان لا مفر من أن يسير الشعب الفلسطيني نحو التجذر بعد أن جرب كافة الطرق الأخرى، واتضح ذلك منذ بداية الستينيات، حين تشكلت عشرات التنظيمات الفلسطينية، مما فرض على الأنظمة العربية باستراتيجية تلك الأنظمة المسارعة في تأسيس (م.ت.ف) حتى تكون الإطار الرسمي المرتبط باستراتيجيتها والقادر على احتواء حركة الشعب الفلسطيني، التي كانت تشهد مرحلة المخاض قبل انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة عام ١٩٦٥م[2]، والتي بشرت به حركة «فتح» و جسدته عبر نشاطها الفدائي.

ولكن اتجاه الحركة الشعبية الفلسطينية نحو التجذر لم يتبلور وتتضح معالمه إلا بعد الهزيمة العربية عام ١٩٦٧م. والتي كانت هزيمة للأنظمة العربية، وبمثابة الولادة الحقيقية للثورة الفلسطينية، فقد كشفت هذه الحرب عجز الأنظمة العربية، وأسقطت شعاراتها حول الوحدة، وتحرير فلسطين، وتحقيق الاشتراكية والحرية، مما أدى إلى حالة انفضاض تلقائية واسعة من قبل الجماهير الفلسطينية والعربية حول هذه الأنظمة وفكرها القومي البرجوازي، خاصة بعد أن وافقت على وقف إطلاق النار[3].

لذا يمكن القول إن انطلاقة الثورة الفلسطينية الكبرى بعد هزيمة ١٩٦٧، وما جسدته من خيار ثوري جديد -بالرغم من نواقصه الكبيرة في مواجهة الاستعمار

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: البيان التأسيسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ١١/١٢/١٩٦٧م.

(٢) نصري عبد الرحمن: وحدة اليسار الفلسطيني الواقع والطموح، الهدف (دمشق) العدد الخاص ٨٩٢، ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧م السنة ١٩، ص١٠٥.

(٣) المرجع نفسه، ص١٠٥.

الاستيطاني الصهيوني- كان مستقلاً عن الأنظمة العربية، ومركزا على أهمية إحياء الشخصية الوطنية الفلسطينية، وإبراز الدور الفلسطيني المستقل في مواجهة الكيان الصهيوني، ومعتمداً على الكفاح المسلح كشكل رئيسي من أشكال النضال، وحرب الشعب طويلة الأمد كطريقة لتحرير فلسطين.

كما شكلت الهزيمة الصدمة التي دفعت جميع القوى السياسية ومفكريها إلى مراجعة برنامج حركة التحرر الوطني ومن يحمله من قوى، وأحزاب، وقيادات، فأصبحت فتح تحتل موقع القيادة الرسمية للحركة الوطنية الفلسطينية منذ شباط / فبراير عام ١٩٦٩م، ولم يعد الفضل في ذلك إلى استراتيجية التوريط الواعي، والتي ربما أسهمت في الوصول إلى نتيجة التناقض العام، مع ما كانت تتطلع «فتح» إليه، فعلى الرغم من عدم ثقة فتح العميقة بالدول العربية، فإن الهزيمة الساحقة للجيوش العربية أصابتها بصدمة قاسية، وقد شرح أحد رموز فتح بقوله: «عندما اتكلنا على التوريط المعتمد على الجيوش العربية في حرب مع إسرائيل كنا نؤمن بجدية القوة العربية، وخصوصاً بمصر ذات القوة الضاربة المجهزة بصواريخ القاهر والظافر»[1].

ومع ذلك فقد رأت «فتح» أن أمامها فرصة ذهبية للإفلات من السيطرة العربية، فالهزيمة كانت تعني أنه اختفت قدرة القمع العربية، وعادت القضية إلى صورتها الحقيقية: صراع فلسطيني إسرائيلي[2]. كما برزت عدة تنظيمات فلسطينية جديدة بعد عام ١٩٦٧م، من أبرزها: منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) التي انبثقت عن حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في سورياً والتي رأت

(١) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٣.
(٢) المرجع نفسه، ٢٤٣.

ضرورة إبراز الشخصية أمام المجتمع الدولي"[1].

وقد انبثقت عن حزب البعث في العراق منظمة فدائية جديدة هي «جبهة التحرير العربية» وذلك وفي أوائل نيسان/ ابريل ١٩٦٩م ومنذ قيامها رأت في شعار دولة فلسطين الديمقراطية «شعاراً للتسوية بمعزل عن انتصار الثورة العربية الشاملة، كما انبثق من بعض قطاعات القوميين العرب عام ١٩٦٧م جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، والتى اعتقدت أن طبقة البرجوازية الكبيرة العربية و الطبقات الرأسمالية الوطنية بمثابة طبقة اصطنعها الاستعمار. أما البرجوازية الصغيرة فهي في رأي جبهة النضال أنها حليفة الثورة، كما نشأت بين فلسطينيي العراق منظمة لمؤازرة المقاومة الفلسطينية عرفت باسم «الهيئة العاملة لتحرير فلسطين» حيث انضمت لاحقاً إلى فتح في شباط / فبراير عام ١٩٧١م"[2].

ويمكن القول إن شعارات هذه المنظمات كانت تعبر عن القطرية الفلسطينية، نتيجة الشعور السائد بعد الهزيمة بأن الأحزاب القومية والأنظمة العربية قد فشلت في تحرير فلسطين، ومن ثم وجب على الفلسطينيين أن يأخذوا زمام المبادرة بأيديهم وبمساعدة الجيوش العربية.

وكان طبيعياً أن تحدث تغيرات جذرية على بنية الكيان الفلسطيني، ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث عبرت النكسة عن فشل نهج المنظمة، وكانت بداية مرحلة جديدة، ومؤشراً لبدء خلع القيادة التي مثلها أحمد الشقيري وإبعادها عن ساحة النضال الفلسطيني، ومما عجل هذا التوجه هو إقدام الشقيري، بإعلانه في

(١) عبد القادر ياسين، أحمد صادق سعد، الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨ – ١٩٧٠ مرجع سبق ذكره، ص١٠٦ : ١٠٧

(٢) المرجع نفسه، ص١١٠ :١١١.

تشرين أول/ أكتوبر ١٩٦٧م عن مشروع لإقامة «دولة عربية متحدة»[١]. وجاء هذا المشروع في ظل واقع الهزيمة وانحسار المد القومي، مما جعل الشقيري وكأنه يسبح ضد التيار العربي والفلسطيني، الأمر الذي دفعه إلى تقديم استقالته في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٦٧م[٢].

ورأس اللجنة التنفيذية للمنظمة بصورة مؤقتة يحيى حمودة، حيث ضمت في عضويتها كلاً من ياسر عرفات، وخليل الوزير، وكمال عدوان من حركة فتح، ووديع حداد من حركة القوميين العرب، وأحمد جبريل من جبهة التحرير الفلسطينية، وتم تشكيل لجنة تحضيرية لتسمية أعضاء المجلس الوطني الجديد بعد مشاورات بين «فتح» والمنظمات الأخرى، وبذلك تحققت الخطوة الأولى على طريق انتقال قيادة المنظمة إلى أيدي الفصائل الفدائية المسلحة[٣].

وقد تغير طابع منظمة التحرير مع دخول حركة « فتح » والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى المجلس الوطني. كما تغير ميثاقها أيضاً من الميثاق القومي إلى الميثاق الوطني، وقد جاء في البند الأول من الميثاق «إن فلسطين هي وطن للشعب العربي الفلسطيني» كبديل لعبارة «إن فلسطين وطن للعرب، كما كان في الميثاق القومي»[٤].

---

(١) أحمد الشقيري: **مشروع الدولة العربية المتحدة**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٤.

(٢) أسعد عبد الرحمن: **منظمة التحرير الفلسطينية، (جذورها، تأسيسها، مساراتها)**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، نيقوسيا، ١٩٨٧، ص١٠٠. وأنظر كذلك يزيد الصايغ: الهوية والشرعية في الساحة الفلسطينية، الأسس الاستراتيجية، شؤون فلسطينية (بيروت)، العدد ١٧٦ – ١٧٧، نوفمبر/ تشرين ثاني- ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٧، ص٧.

(٣) فيصل حوراني: **الفكر السياسي الفلسطيني ١٩٦٤ – ١٩٧٤، دراسة للمواثيق الرئيسية لمنظمة التحرير الفلسطينية**، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٣٥.

(٤) سمير حداد: تطور جدل العلاقة بين العام والخاص في النضال الوطني الفلسطيني، مجلة الهدف (دمشق)، العدد الخاص (٨٩٢) ٢١/ ١٢/ ١٩٨٧م، ص١٢٨.

وإذا كانت هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧م قد شكلت نكسة كبيرة لتيار القومية العربية وتعبيراته السياسية، فإنها كانت في المقابل بداية صحوة التيار الإسلامي، الذي كان نفوذه قد انحسر كثيراً في فترة المد القومي العربي بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر، علما بأن هذه الصحوة لم تبلغ مداها وتثبت حضورها على ساحة العمل الفلسطيني إلاّ في وقت متأخر(*).

وخلافاً لتيارات الفكر السياسي الفلسطيني الأخرى، فإن التيار الإسلامي أرجع هزيمة حزيران/ يونيو. في الأساس إلى تخلي العرب عن شريعة الإسلام، محملاً التيار القومي العربي قسطاً كبيراً من المسئولية عن النكسة، وذلك نتيجة السياسات التي انتهجها، والتي أدت إلى حصر القضية الفلسطينية في النظام العربي وحده، وفصلها عن العالم الإسلامي، وإلى التقاعس في الإعداد الجوي للمعركة(١).

وقد كانت حركة القوميين العرب من أكثر الأحزاب تأثراً بهزيمة حزيران/ يونيو١٩٦٧، فتأثيرها لم يقتصر على مفاهيمها من القضية الفلسطينية وكيفية حلها، فحسب، بل شمل أيضا كل مفاهيمها السابقة حول حركة التحرير الوطني العربية، مما أفقدها القدرة على إحداث نوع من التلازم بين بنيتها التنظيمية والأيديولوجية، والتطورات الجديدة، فنجم عن ذلك سلسلة من الهزات التنظيمية الداخلية أنهت وجودها التنظيمي مؤخراً، لدرجة أن بنيتها التكوينية والأيديولوجية كانت قاصرة على استيعاب التطورات الجديدة، الفكرية والسياسية التي طرحتها الحركة بعكس

(*) بتأثير النتائج التي ترتبت على غزو إسرائيل للبنان، صيف عام ١٩٨٢ ، وخروج قوات المقاومة الفلسطينية من بيروت.

(١) الشريف : البحث عن كيان، مرجع سبق ذكره، ص١٧٤ .وانظر ، كذلك، الجبهة الإسلامية في الأردن: زعماء الدول العربية الإسلامية، عمان، ٢٠/ ٧/ ١٩٦٧م، الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٧م، مصدر سبق ذكره، ص٤٩٧ - ٤٩٩.

ما كان يحدث سابقاً، مما أدى إلى سلسلة من الأزمات الداخلية، وبشكل متلاحق عملت على تفسخ الحركة تنظيمياً وسياسياً، وإنهاء وجودها، وقيام عدة تنظيمات جديدة على أنقاضها[1].

ومع تفاعلات بذور الخلاف الذي بدأ في سنة ١٩٦٢م في صفوف الحركة، كانت المراجعة النقدية لأسباب هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧م الداخلية والخارجية، حيث كانت من الموضوعات الحاسمة التي أدت إلى تحول الحركة إلى الماركسية – اللينينية[2].

وجاء اجتماع اللجنة التنفيذية الموسعة لحركة القوميين العرب، ليعطي أحداث حزيران/ يونيو ١٩٦٧، أبعادها الحقيقية، ولتتجاوز الحركة نظريا كافة التنظيمات القائمة في الوطن العربي، حيث استطاعت التخلص من إطار فكر البرجوازية الصغيرة، لتقدم للهزيمة أبعادها الطبقية، فأشارت إلى أن الهزيمة لم تكن نكسة مؤقتة، كما لم تكن هزيمة عسكرية، بل هزيمة نظام الطبقية التي تقود حركة التحرير الوطني العربية وأن الذي سقط يوم الهزيمة لم يكن الجيوش العربية وأسلحة طيرانها، بل فكر هذه الطبقة التي لم تكن قادرة على قيادة عملية بناء القاعدة المادية للمجتمع، ولا تستطيع توجيه فائض الإنتاج المتاح للتنمية لخدمة أغراض التنمية، لكونها طبقة مستهلكة، تستأثر بمعظم الإنتاج الوطني في أغراض استهلاكية تخص طبقتها، فالتوجه نحو التنمية تغلب فيه الاستثمارات الاستهلاكية على الاستثمارات الإنتاجية، وأن هذه الطبقة كونها طبقة وسيطة غير محددة الفكر والمصالح لا تستطيع

(١) غازي الخليلي: حركة القوميين العرب وموقفها من القضية الفلسطينية، دراسات عربية (بيروت) كانون الثاني، وشباط، وآذار، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٠٣.

(٢) سهير سلطي التل: حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦م، ص١٩٦.

قطع صلتها الفكرية والمادية بطبقة الإقطاع ورأس المال[1].

وكان بداية ذلك هو التقرير السياسي الصادر عن الاجتماع الموسع للجنة التنفيذية القومية لحركة القوميين العرب (أواخر تموز/ يوليو١٩٦٧م). وكان هذا التقرير متفقا عليه بين فريقي القيادة المركزية: الراديكالي (برموزه الأساسية: محسن إبراهيم، نايف حواتمة، ومحمد كشلي). والتقليدي (برموزه الأساسية: جورج حبش، ووديع حداد، وهاني الهندي، وأحمد الخطيب)[2].

وقد حلل التقرير أسباب الهزيمة، فاعتبر أنه من خلال الهزيمة العسكرية التي أصيبت بها الجيوش العربية، والشلل الذي أصاب الأنظمة التقدمية والحركات الشعبية، اتضح تماماً أن الأفق التي قادت البرجوازية الصغيرة ضمنه حركة الثورة العربية حتى الآن، ليس هو أفق هذه الحرب طويلة النفس مع الاستعمار الجديد بكل قواعده المزروعة على الأرض العربية، وفي مقدمتها إسرائيل، واستنتج البيان «أن متابعة الحرب مع الاستعمار الجديد، بكل أبعادها الداخلية والخارجية وبآفاقها الاقتصادية، والسياسية، والفكرية، والعسكرية ... باتت تتطلب انتقال مقاليد القيادة إلى الطبقات والفئات الاجتماعية الكادحة الأكثر جدية في مقاومة الاستعمار وحلفائه المحليين، بحكم مصالحها، وطبيعة أيديولوجيتها، وتحت هذه القيادة سوف يكون على البرجوازية الصغيرة وكل العناصر والقوى الوطنية والتقدمية أن تهتم بدورها في معركه التحرير الوطني[3].

(١) بيان الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب: الحرية، (بيروت)، ٤/ ٢/ ١٩٦٧م،ص٤.

(٢) أمين اسكندر وآخرون: الأحزاب والحركات القومية العربية، ج٢، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ص٣١..

(٣) البيان السياسي لحركة القوميين العرب، الصراع المصيري بين حركة الثورة العربية وبين الاستعمار الجديد، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧، مصدر سبق ذكره، ص٦٨١.

وقد برز من خلال هذه المراجعة اتجاهان رئيسيان هما:

الأول: يقول أنصاره بأن هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ لم تكن موجهة إلى الأنظمة الرجعية، الممثلة لطبقتي الإقطاع والبرجوازية المسئولتين عن النكبة، بل البرجوازية الصغيرة التي استطاعت بقيادتها الرسمية والشعبية أن تهزم تحالف الإقطاع والبرجوازية الممثلة لهذه الأنظمة، وبالتالي فرض برنامجها السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي بقيادة تحالف (العمال، والفلاحين، والجنود، والمثقفين).

هذا البرنامج الذي قاد مرحلة الصراع الوطني الطبقي، ولكنه كان برنامج البرجوازية الصغيرة، سواء كانت في مواقع السلطة، وقيادة حركة التحرر الوطني. حيث لا تستطيع الاستمرار فى المجابهة حتى النهاية؛ لأنها صاحبة البرنامج، كما تخشى الجماهير بقدر ما تخشى تحالف الإقطاع والبرجوازية، وبالتالي لا تستطيع تقديم البرنامج المستند إلى مصالح الجماهير كلياً، الأمر الذي سيؤدي إلى فرز نقيضها، ودفعها إلى التخلي عن مصالحها المادية والمعنوية، مما يؤدي إلى الانتهاء إلى نتيجة مؤداها أن هذه الطبقة غير مؤهلة لحل معضلات مرحلة التحرر الوطني في هذه المرحلة التي تتطلب التسلح بالأسلحة الثورية وأفكار الطبقة الثورية، وهي أفكار العمال، والفلاحين، والفقراء وهذا لم تفعله هذه الطبقات، ولم تستطع الإقدام عليه فجاءت الهزيمة لتكشف تصورها مما يعني دفع هذه الطبقة إلى التخلي عن مواقع القيادة لصالح ما يمكن فرزه من إطارات طليعية مسلحة بأيديولوجية علمية ثورية، وأيديولوجية بروليتارية[1].

(١) التل: مرجع سبق ذكره، ص١٩٧، انظر كذلك، الثورة العربية أمام معركة المصير، التقرير السياسي الصادر عن الاجتماع الموسع للجنة، التنفيذية لحركة القوميين العرب، في أواخر يوليو ١٩٦٧، ص١٩.

الثاني: لا يختلف أنصاره على تحليل البرجوازية الصغيرة، وتصور برنامجها في الهزيمة، ومن ثم عدم قدرتها على مواجهة مهام مرحلة التحرر الوطني، لكنه يأخذ بعين الاعتبار جملة الإنجازات التي حققتها هذه الطبقة، كطبقة حاكمة في كثير من الأقطار العربية، وبالذات مصر، وأبرزها: استمرارها في معاداة الامبريالية الصهيونية، والرجعية العربية الممثلة فى تحالف الإقطاع والرأسمالية، لكن هذه الأنظمة ما زالت تطرح برنامجها على أساس استراتيجية الحرب التقليدية، وبرامج الإصلاحات التي تحاول من خلالها سد الثغرات الفادحة في هذه التجارب دون أن تحدث تغييراً جذرياً تاماً في مجال بنيانها، وبالتالي فإن الموقف الثوري من هذه الطبقة يتحدد من خلال نقطتين رئيسيتين:[1]

الأولى: أن هذه الطبقة هي حليفة الثورة.

الثانية: أن هذا الحليف ليس هو مادة الثورة الأساسية، وبالتالي لا يجوز أن تكون الثورة بقيادته وقيادة برامجه واستراتيجية، وعلى ضوء ذلك فإن القانون الذي يحكم العلاقة مع هذه الطبقة هو التحالف بينها وبين الثورة، للوقوف في وجه التناقض الأساسي المتمثل فى معسكر الأعداء، وفي الوقت نفسه الصراع مع هذه الطبقة، حتى لا تصبح هي وبرامجها واستراتيجيتها قيادة الثورة.

وقد جسد بيان الحركة هذا في ردها على الهزيمة حالة الارتباك والتردد الذي تتخبط به القيادة السياسة للحركة، فلا هي استطاعت حسم الموقف لصالح أطروحات اليسار، ولا هي بقيت متمسكة بمنطلقاتها الأولى وأيديولوجيتها السابقة[2].

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: الاستراتيجية السياسية والتنظيمية، (دمشق)، منشورات الهدف، لجنة الإعلام المركزية، ط٤ ١٩٨٣م، ص٦٧.

(٢) الجبهة الشعبية وقضية الانشقاق، لجنة الإعلام المركزية، بيروت، ١٩٧٠، ص١٧- ١٩.

وبذلك يكون هناك استراتيجيتان في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وخوض معركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية، وهما: استراتيجية البرجوازية الصغيرة، التي تطرح نظريا، وتتجه عمليا نحو استراتيجية الحرب التقليدية، من خلال إعادة بناء المؤسسة العسكرية إذا تعذر الوصول لحل سلمي، مقابل استراتيجية الطبقة العاملة التي تطرح نظريا، وتتجه عملياً نحو حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية التي تخوضها الجماهير بقيادة الطبقة العاملة، وبأوسع جبهة وطنية معادية للإمبريالية، وبرامج تعبوية ثورية ترتفع بعملية الحشد الجماهيري الأيديولوجي، والسياسي والاقتصادي، والعسكري إلى أعلى مستوى[1].

شكل هذا التقرير الأساس النظري لإعادة بناء حركة القوميين العرب وتجذيرها يسارياً، لذا فقد أقرت اللجنة التنفيذية القومية في أوائل كانون الثاني/ يناير ١٩٦٨م، برنامج التطور الديمقراطي، الذي يحدد آليات ووظائف عملية إعادة البناء اليسارية، ويقوم هذا البرنامج على أربع نقاط:[2]

١- طرح موضوعات ٥ حزيران/ يونيو على الأعضاء في كل الأقطار لاستثارة حوار واسع في صفوفهم.

٢- التقدم انطلاقاً من تلك الموضوعات بصياغة تحليل طبقي سياسي للأوضاع القطرية المتنوعة، واستخراج برنامج يحدد مهمات النضال الوطني الديمقراطي، وأساليب الكفاح المتطابقة مع الظروف الموضوعية السائدة في كل قطر.

٣- التقدم عملياً على طريق ممارسات سياسية طبقية جديدة مناقضة للممارسات

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: على طريق الثورة الفلسطينية، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٩٨.

(٢) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقضية الانشقاق، مرجع سبق ذكره، ص٤٢٥.

السياسية السائدة التي كان يفرزها التكوين الطبقي، والأيديولوجي، والبرجوازي الصغير للحركة.

٤- الانطلاق عبر ذلك كله نحو تصفية البنية التقليدية للحركة، وإحداث عملية فرز تنظيمي حاسمة في صفوفها، وتأهيل الاستقطابات اليسارية للتحول إلى فصائل ماركسية لينينية جديدة.

لذا يمكن القول من خلال ما تقدم إن هزيمة ١٩٦٧م، بالرغم من فداحتها تعتبر الأساس الموضوعي لتشكيل الفكر الفلسطيني الخاص في الصراع العربي- الإسرائيلي، حيث أصبح العامل الفلسطيني للمرة الأولى منذ نكبة ١٩٤٨م مهماً وفعالاً، في الصراع، فالفلسطينيون هم أول من استجاب للتحديات الصعبة التي أفرزتها الحرب، في ظل وضع عربي رسمي تسيطر عليه الهزيمة، وذلك وسط مناخ جماهيري رأى فى المقاومة الفلسطينية الأمل الذي عجزت الأنظمة عن التعبير عنه أو تجسيده وعلى هذه الخلفية، تنامت حركة المقاومة الفلسطينية، وتصاعد العمل الفدائي، وأخذت ظاهرة تعدد التنظيمات الفلسطينية تطرح نفسها في ساحة النضال الفلسطيني، وجاءت تجربة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتعبر عن بعض التحالفات التي نشأت في ذلك الوقت بين التنظيمات الفدائية التي بدأت بممارسة نشاطها العسكري السياسي قبل الخامس من حزيران / يونيو ١٩٦٧م. وكان الإنجاز الأساسي والمهم الذى أنجزته المقاومة بعد حرب ١٩٦٧م أنها منعت إسرائيل من أن تُتْبع انتصارها العسكري في ٥ حزيران/ يونيو بانتصار سياسي، وضرب معنويات الجماهير العربية والفلسطينية.

لقد حملت الجماهير الفلسطينية السلاح، وشقوا الطريق للعمل الفدائي بعد ٥ حزيران/ يونيو، فقبل هذا التاريخ اتسم النشاط بالضعف وبالعزلة عن الجماهير؛

وذلك لأن الجماهير كانت تراهن على الجيوش النظامية، وعلى الحركة القومية التي لم يثبت فشلها عمليا، إلا إن هزيمة الجيوش العربية في الحرب أفشلت مراهنة الجماهير العربية، وخصوصاً الفلسطينية منها على هذه الجيوش، ودفعت من رصيد العمل الفدائي، ولفتت الانتباه إلى استراتيجية الكفاح المسلح والعمل الفدائي الفلسطيني، الذي ظلت بنادقه مشرعة في ظل انكفاء العمل العسكري العربي الرسمي، على الرغم من محدودية تأثير العمل الفدائي.

◆◆◆

obeikan.com

النشأة والتكوين

ظهرت الجبهة الشعبية كواجهة قتالية نبعت من حركة القوميين العرب، فهى امتداد عضوي لفصائل كتائب الفداء العربي، وتعبير عن شعار الثأر الذي ظل يصطف على امتداد واحد مع شعار الوحدة والتحرير. وعن العلاقة العضوية بين الجبهة الشعبية وحركة القوميين العرب يقول الدكتور جورج حبش فى ذلك: « إن موضوع الجبهة مرتبط بالقوميين العرب ولا يمكن الفصل بينهما، حيث تم البدء بتجنيد مجموعات تضرب أهدافاً إسرائيلية عام ١٩٥٢، ووصل عدد التنظيمات الفلسطينية عام ١٩٦٢ إلى حوالي ٣٦ تنظيماً، لم تكن الجبهة الشعبية من بينها، وتم مراجعة التفكير بالعمل الفلسطيني من خلال حركة القومية، فتم فصل الأعضاء الفلسطينيين من فروع الحركة، ووضعهم فى قطاع تنظيمي؛ ليتمكنوا من تلقي مادة تثقيفية تمهيداً لإعدادهم عسكرياً»[1].

وقد استمر الوضع على هذا الحال حتى هزيمة عام ١٩٦٧م، والتي أفرزت ظروفاً موضوعية جديدة مكنت القوى الثورية الفلسطينية من الانطلاق[2].

فكانت حركة القوميين العرب أول حزب قومي يعترف في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧م بأن أيديولوجيته وبرنامجه السياسي قد هزما، وأصبحا بلا فائدة، وانقلب القوميون العرب على أيديولوجيتهم باعتبارها عقيدة مسئولة عن الهزيمة، وتخلوا عن كافة فرضيات وبناء الأيديولوجية القديمة، وهيأوا أنفسهم ليبدءوا من

(١) عبد الله السلوم السامرائي، تطور الفكر القومي العربي «حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي»، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٨٠.

(٢) الجبهة الشعبية للتحرير فلسطين سجل الخالدين، (د. ت) الجزء الثاني، ١٩٧١ – ١٩٧٤م، ص٧.

جديد[1].

وقد تباطأت الحلقة القيادية المعروفة بين أعضاء الحركة بلق ب (المركز)، والمؤلفة من جورج حبش، وهاني الهندي، ووديع حداد، وكبار مساعديهم في التعبير عن ردة فعلها، وصدم أحد الكوادر الذي هرع إلى بيروت للتشاور مع حبش حين أبلغه: «لم يعد لدينا تنظيم في الضفة أو الأردن، فالجميع في السجون والَّذِين تمكنوا من الإفلات فقدوا الثقة ولا يثقون برفاقهم»[2].

لكن أعضاء «حركة القوميين العرب» كانوا أنجح في غزة، لأن السلطات المصرية سمحت لهم قبل عام ١٩٦٧، بالعمل والانتشار فكان لهم أتباع كثيرون[3].

ومع وصول المزيد من الأعضاء إلى بيروت للتشاور مع القيادة، اجتمع نحو ١٢ عضواً من مركز حركة القوميين العرب، وقيادة العمل الفلسطيني، ولجنة العمل العسكري الفلسطيني، واتفق الجميع على ضرورة التحضير لمجهود عسكري مستقل، وعبَّر أحد الكوادر عن الحالة السائدة في أوساط الأعضاء الشبان عندما حذر حبش من أنه سيهاجر ما لم تقرر حركة القوميين العرب تنظيم عملية المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي[4].

وبدأت لقاءات لقياديي حركة القوميين العرب، وقيادة العمل الفلسطيني، ولجنة العمل العسكري في منزل جورج حبش في حزيران وتموز / يونيو ويوليو

(١) عوض خليل: مسار اليسار الفلسطيني من الماركسية إلى البيريسترويكا، شئون فلسطينية، (نيقوسيا)، تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٠، ص٢٠.

(٢) يزيد الصايغ، الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨.

(٣) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٧٧.

(٤) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٨.

١٩٦٧م، لدراسة ما يمكن عمله[١]، والنظر بجدية مسألة العمل الفلسطيني المسلح، والتركيز على الساحة الفلسطينية، ومن هنا بدأت فكرة إنشاء تنظيم موحد يضم التنظيمات الخمسة القائمة في تلك الفترة، والتي كانت هي الأخرى تفكر جديا في مسألة الكفاح المسلح، وهذه التنظيمات هي: حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، والصاعقة التي كان اسمها طلائع حرب التحرير الشعبية، وجبهة تحرير فلسطين، المسئول عنها أحمد جبريل، « وشباب الثأر» التنظيم الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وتنظيم آخر أطلق على نفسه « أبطال العودة» والذى كان لحركة القوميين العرب علاقة به. وقد كانت منظمة التحرير الفلسطينية تفكر بإنشاء تنظيم مسلح إلى جانب جيش التحرير، واتصلت هي الأخرى بمجموعة من الشباب، أعضاء في حركة القوميين العرب أو أصدقاء لها[٢].

وفي تلك الفترة لم تكن منظمة التحرير الفلسطينية إطاراً جبهوياً بقيادة تنظيمات الكفاح المسلح، صحيح أنه كان قد مضى على الاعتراف بها من قبل الجامعة العربية بضعة أعوام، ولكنها لم تكن موضع الثقة والرهان بالنسبة للشعب الفلسطيني، وطلائعه الثورية والوطنية، ولم يكن في حينه ممكناً القول إن هذا الكيان يمثل إرادة الشعب الفلسطيني ويشكل الإطار المناسب لحشد كل طاقاته وإمكاناته على طريق التحرير، كما أن ظروف تكوين المنظمة والبيئة التي تشكلت فيها لم تكن تدعو إلى الاعتقاد بأن هذا الإطار سيتجاوز الإرادة الرسمية العربية، وهو الذي تشكل بقرار منها، وأمام هذه الصورة وأبعادها كان القرار بضرورة الشروع بعمل ثوري من

(١) زكريا السنوار: العمل الفدائي في قطاع غزة من ١٩٦٧ – ١٩٧٣، رسالة ماجستير، مخطوط الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠٠٣، ص١٠٥.

(٢) مطر: مرجع سبق ذكره، ص١٧.

طراز جديد[1].

وعلى إثر ذلك شهدت دمشق اجتماعات متوالية من أجل توحيد كافة المنظمات الفدائية الفلسطينية، وانتهت إلى تكوين مكتب للتنسيق فيما بينها. وفي شهر تموز/ يوليو ١٩٦٧ تم ضم التنظيمات الفلسطينية الأربعة في ظل مكتب تنسيق يقود عملياتها ويوجه سياستها، وهذه التنظيمات هي: فتح، وشباب الثأر، وجبهة التحرير الفلسطينية، وأبطال العودة. غير أن هذه الوحدة لم يطل بها الأمد أكثر من شهر[2]، إذ تغيب ياسر عرفات، زعيم حركة فتح عن الاجتماعات الأخيرة، بذهابه إلى داخل الضفة الغربية المحتلة لتنظيم مجموعات مسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي[3]. وأعلن أن الوحدة الوطنية تتحقق في الميدان، وكأن كل ما هو موجود في الخارج لا يساوي شيئاً[4]. وواصلت حركة فتح العمل الفدائي منفردة ابتداء من أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧م[5][*]. على حين ظلت المنظمات الثلاث الأخرى تعمل في ظل مكتب التنسيق المكون من ممثليها، إلى أن قرر مجلس التنسيق هذا توحيد جهود

(١) جورج حبش: مسار التجربة الرائدة ودروسها المستخلصة، حوار مع «الهدف» السنة التاسعة عشر، كانون الأول ١٩٨٧م، العدد الخاص، (٢٩٢)، ص١٢.

(٢) مصطفى طلاس: الكفاح المسلح في وجه التحدي الصهيوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت)، ص٢٠٠.

(٣) عبد القادر ياسين: شبهات حول الثورة الفلسطينية، دار الثقافة الجديدة، الإتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، القاهرة، ١٩٧٧، ص١١٠. انظر كذلك:: جورج حبش: التجربة النضالية الفلسطينية حوار مع محمود سويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٤٠.

(٥) مطر: مرجع سبق ذكره، ص١١٨.

(*) تجدر الإشارة إلى أن حركة «فتح» بدأت نشاطها، عام ١٩٦٥م، داخل فلسطين، لكن الموجة الأخرى من الكفاح المسلح داخل فلسطين المحتلة قامت بها في ١٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٦٧م.

المنظمات الثلاث في جبهة واحدة(١).

وتم وضع برنامج سياسي ولائحة علاقات داخلية، وفي كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧م، أصبحت التنظيمات الثلاثة مستعدة لمباشرة العمل العسكري: وفي ٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧م وردت أول إشارة عن ظهور تنظيم جديد يحمل اسم (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) وذلك في صحيفة (الأنوار) الوثيقة الصلة بحركة القوميين العرب، وأوضحت الصحيفة أن للجبهة تنظيمات مقاتلة منتشرة في جميع أنحاء الأراضي المحتلة وداخل إسرائيل، وفي اليوم التالي ذكرت الصحيفة نفسها أن الأشهر السابقة للإعلان عن الجبهة الشعبية قد صرفت في الإعداد للقيام بالثورة المسلحة على نطاق واسع، وأضافت بأن أوامر القتال تلقاها فدائيو الجبهة ليلة ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر، وقد نفذ هؤلاء سلسلة عمليات داخل إسرائيل. وفي ١١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧م أذاعت الجبهة الشعبية بيانها الأول الذي تحدثت فيه عن نشوئها وفلسطينيتها، ونظرتها القومية العربية الشاملة، وإيمانها بوحدة القوى التقدمية، وضرورة توحيد الكفاح الفلسطيني المسلح، وقد اعتبر تاريخ إذاعة هذا البيان هو تاريخ انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين(٢).

نستطيع القول من خلال ما سبق إنه عندما جرى التفكير في تأسيس الجبهة الشعبية بعد هزيمة حزيران/ يونيو كانت الأمنية والأمل أن تضم هذه الجبهة كافة التنظيمات المقاتلة والمتواجدة آنذاك، وإيجاد جبهة وطنية مثلما حدث في الجزائر (تجربة جبهة التحرير الوطني الجزائرية)، أو مثلما حصل في جنوب اليمن (تجربة الجبهة القومية لتحرر اليمن) وتجربة فيتنام، لكن مسيرة هذا التشكيل تعثرت نتيجة

(١) اطلاس: الكفاح المسلح، مرجع سبق ذكره.

(٢) الجبهة الشعبية: محطات أساسية، مرجع سبق ذكره، ص٤. انظر أيضا: الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧م، ص٩٩٩ – ١٠٠١.

خلافات سياسية في وجهات النظر، فانسحبت جبهة التحرير الفلسطينية. في تشرين الأول ١٩٦٨م وشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة، وعلى ضوء التطورات التي شهدتها منظمة التحرير الفلسطينية، تخلت الجبهة الشعبية عن سعيها لإيجاد جبهة وطنية؛ لأن منظمة التحرير الفلسطينية جسدت في نظرها هذه الجبهة بخطوطها العريضة.

وقد جعل هذا التطور الجبهة الشعبية، موضوعيا، تنظيماً سياسيا محدداً، خصوصاً بعد انصهار تنظيم أبطال العودة انصهاراً كاملاً في صفوف الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، وعندئذٍ بدأ العمل لتحويل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى تنظيم سياسي ماركسي - لينيني. ولكن عملية التحويل واجهت مشكلات وخلافات داخلية، ورأى عدد من أعضاء الجبهة استحالة تحويل تنظيم برجوازي صغير إلى تنظيم ماركسي - لينني، وقد أدى هذا الخلاف إلى انشقاق الجبهة الديمقراطية عن الجبهة الشعبية[1].

◆◆◆

(١) الموسوعة الفلسطينية: دمشق، ط١، ١٩٨٢، ص١٥ القسم العام، المجلد الثاني، ص١٥.

أطراف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بينما كانت خيوط المقاومة تتشكل في الأسابيع التي تلت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧م كان أعضاء حركة القوميين العرب يزيدون الضغوط على قيادتهم فى محاولة لحملها على الاشتراك في العمل العسكري، لتجاري حركة فتح في هذا العمل، وكانت حركة القوميين العرب في الواقع قد فقدت الكثير من الأعضاء المناصرين الذين عبروا عن رغبتهم في الالتحاق بالفدائيين، عقب حزيران/ يونيو، وأن فتح وجبهة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد جبريل هما فقط اللتان كان لديهما معسكرات تدريب، وأسلحة، وخطط، وعمليات، وهما اللتان في وسعهما استيعابهم، وكانت مشكلة التدريب - في حد ذاتها- قد أصبحت مشكلة حادة منذ أن أغلقت السلطات اللبنانية المعسكر في كيفون في أواخر تموز/ يوليو[1].

إضافة إلى أن «حركة القوميين العرب» كانت تعاني من عدة إشكالات، أبرزها: احتدام الصراع داخل فرع الحركة حول الأيديولوجية بين تيار يدعو إلى تبني الماركسية اللينينة، وآخر يدعو للالتزام بالفكر القومي، وفي عام ١٩٦٧م تم إشهار ماركسية الحركة[2].

مما أدى إلى استمرار الخلاف داخل الحركة لفترة من الزمن وكان القوميون تنظيما محظوراً في سوريا بسبب شك النظام في تورطهم في محاولة الانقلاب التي حدثت في تموز / يوليو ١٩٦٣، كما تعرضت الحركة لضربة في صفوف قادتها وعناصرها من

(١) الصايغ : رفض الهزيمة...، مرجع سبق ذكره، ص، ٣٩.

(٢) ناجي علوش: فكر حركة المقاومة الفلسطينية ٤٨ – ١٩٨٧، الموسوعة الفلسطينية القسم العام، ق٢ ج٣، بيروت، ١٩٩٠، ص٩٣٤.

قبل أجهزة المخابرات الأردنية عام ١٩٦٦[١]. وهذا يعني تعرضهم للاعتقال في الأردن، ومما زاد المشكلة تعقيدا استيلاء إسرائيل على ملفات الاستخبارات الأردنية عند احتلالها للضفة، وبها أسماء أعضاء القوميون العرب وغيرهم[٢].

وعلى الرغم من هذه المحن كانت حركة القوميين العرب تعد نفسها للعمل العسكري بالتدريج، تدفعها من ناحية حماس الكوادر الشابة فيها، ومن ناحية أخرى رغبة عدة شخصيات رئيسية في منافسة فتح، واستجابة لمشاعر العجلة والإلحاح تلك وضعت الحركة ترتيبات كي يتدرب أعضاؤها في معسكر أحمد جبريل في (دوما) قرب دمشق[*].

وكان المعسكر حديث العهد، حيث أقام قبل ذلك دورة تدريبية واحدة فقط. والحقيقة أن حاجة الحركة إلى مرافق التدريب كانت من الموضوعات المهمة التي أخذت في الاعتبار في مناقشات الوحدة مع جبهة التحرير الفلسطينية. وبحلول تشرين الثاني / نوفمبر كانت حركة القوميين العرب مستعدة لبدء نشاط مشترك مع جبهة التحرير الفلسطينية، وجماعات أخرى هي أبطال العودة، المجموعات التابعة لحركة القوميين العرب، وحلقة الضباط المستقلين الناصريين والمنفيين إلى القاهرة بقيادة النقيب السابق في الجيش الأردني أحمد زعرور[٣].

وقد أصدرت الجبهة الشعبية بيانها السياسي الأول في ١١ كانون الأول / ديسمبر، ١٩٦٧. الذي تحدثت فيه عن نشأتها، حيث ورد في ذلك البيان أن الجبهة

(١) الصايغ: رفض الهزيمة...، مرجع سبق ذكره، ص١٣.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٩.

(*) بعد حرب ٦٧ وافق السوريون على فتح معسكرين للتدريب، أحدهما لجبهة التحرير الفلسطينية لأحمد جبريل في منطقة دوما قرب دمشق والآخر لحركة فتح في منطقة دمّر، على طريق بيروت.

(٣) الصائغ: رفض الهزيمة...، مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

عقدت العزم على ممارسة كل أشكال النضال بما فيه الكفاح المسلح من أجل استرداد الوطن الذي سلبه العدو الصهيوني، وأكدت في بيانها أنها تستند في خيارها الكفاحي إلى رؤية علمية وإلى تنظيمها، وإلى الشعب الفلسطيني الذي برهن دوما على استعداده للقتال من أجل استرداد كرامته وحقوقه التاريخية المشروعة[1]. وحول نشأتها قالت الجبهة أنها تشكلت نتيجة الاتفاق في الرؤية والهدف بين التنظيمات الفلسطينية التالية:

١- منظمة أبطال العودة:

تعود جذور أبطال العودة إلى حركة القوميين العرب، ونتيجة التفاعل الذي حدث بين التنظيم الفلسطيني لحركة القوميين العرب واستخلاص العبر من الهزائم المتكررة للجيوش العربية في حروبها ومعاركها الفاشلة في مواجهة الجيش الصهيوني، الذي كان قد اقترب من امتلاك السلاح الذري، وأن امتلاك إسرائيل لهذا السلاح يعني جمود القضية الفلسطينية، وتوسع إسرائيل في الساحة العربية[2].

وإضافة إلى نتائج الاستطلاعات العسكرية داخل الأراضي المحتلة، والعملية البطولية الذي استشهد فيها خالد أبو عيشة، كل هذه الظواهر أدت إلى تشكيل «أبطال العودة» كمنظمة مسلحة تقوم بعمليات وغارات عسكرية ضد مؤسسات وأهداف صهيونية، وفي شهر آب / أغسطس من عام ١٩٦٤م أفرز الفرع الفلسطيني، لحركة القوميين العرب عدداً من المؤهلين عسكرياً، والذين كانوا

(١) البيان السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: الوثائق العربية لعام ١٩٦٧، مصدر سبق ذكره ص٧٤٧، انظر أيضاً: الحرية البيان السياسي الأول للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، العدد ٣٩١، السنة الثامنة، بيروت، كانون الأول ١٩٦٧، ص٣. انظر الملحق رقم (١).

(٢) مستقبل العمل الفدائي الفلسطيني، الحرية، فلسطين ملحق المحرر، (بيروت)، العدد ١٠٤٦ – الخميس ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٥.

يمثلون النواة الأولى لتنظيم أبطال العودة، وكان أبرزهم الدكتور وديع حداد صاحب فكرة تشكيل هذه الحركة مع اثنين من رفاقه هما: صبحي موسى التميمي، وفايز عبد الرحمن جابر. هؤلاء الثلاثة كانوا يمثلون الصف التنظيمي، الإداري والعسكري الأول في حركة القوميين العرب، بالإضافة إلى عبد الرحمن جابر، ومحمد شرف، وعبد العزيز الوجيه، وعثمان حداد من الصف الثاني من الحركة بالساحة الأردنية. وهناك آخرون من الساحات العربية الأخرى[1]. وكان لهؤلاء القادة علاقات مميزة مع عبد الناصر، حيث كانوا يتبنون الاشتراكية القومية الناصرية[2].

وقد فتح الرئيس جمال عبد الناصر أمام هذه القيادة المجال لتدريب كوادرهم في معسكرات القوات المصرية، وخاصة مركز تدريب الصاعقة في أنشاص، وأيضاً كان الفضل لعبد الناصر في إنشاء إذاعة خاصة لفلسطين من محطة صوت العرب، والتي كانت تذيع البيانات العسكرية والسياسية الصادرة عن القيادة، كما زاد بدفع الحركة الوطنية إلى الأمام، وخلق مناخ وطني داعم ومتفاعل مع هذه المرحلة الجديدة في حياة الشعب الفلسطيني[*].

هذا، وقد لاقت المنظمة دعما من الحكومة السورية، بقيادة نور الدين الأتاسي،

(١) عبد الرحيم جابر: **أبطال العودة فلسطين**، بيروت، ١٩٩٨م، ص٨ – ٩، وانظر أيضا عبد الوهاب الكيالي: **الموسوعة السياسية** ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، بيروت، ١٩٩٠، ص٢١.

(٢) عزت دراغمة: الفلسطينيون والطريق إلى فلسطين، ج١ مركز الضياء للدراسات الفلسطينية، ط١، القدس، ١٩٩٢، ص١٠٨.

(*) كان ذلك بالتنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية ابان رئاسة احمد الشقيري لها، وذلك في ضوء رغبة المنظمة بتشكيل ذراع فلسطيني فدائي، يعمل الى جانب الذراع المتمثل بجيش التحرير الفلسطيني. محمد جمال باروت: مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٣. أنظر أيضا كوبان، مرجع سبق ذكره، ص٢٢٢.

ويوسف زعين اللذين فتحا معسكرات التدريب والمستودعات أمام هذه المنظمة[1].

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٦م، أعلن عن تشكيل تنظيم أطلق على نفسه أسم (أبطال العودة) وقد جاء هذا الإعلان بشكل بلاغ رقم (١) تحدثت فيه عن العمليات العسكرية التى قامت بها فى إسرائيل وعن استشهاد ثلاثة من مناضليها ولم يتضمن البلاغ إشارة إلى ظروف تكوين المنظمة الجديدة واتجاهاتها، وعزمها على متابعة عملها الفدائي. وفي كانون الأول/ ديسمبر أذاعت المنظمة بلاغها الثاني الذي ذكرت فيه أن فدائييها قاموا بهجوم على الكنيست في محاولة لتدميره، بيد أن هذه المحاولة أحبطت بعد معركة وصفها البلاغ بأنها كانت عنيفة، وانسحبت القوة إلى المنطقة العربية حيث طوقهم الجيش الأردني، وأمرهم بالاستسلام. وحمل البلاغ تعهد المنظمة على الاستمرار في كفاحها المسلح[2].

وقد اختارت (أبطال العودة) أسلوب العمل المسلح الصامت، مما يشير إلى أنها لم تكن جديدة على ساحة العمل الفدائي[3].

وأكد أحد أبرز كوادر المنظمة أن « أبطال العودة » نفذت مهام عسكرية داخل الأراضي المحتلة بتاريخ ٥ شباط/ فبراير ١٩٦٥م، على مستوطنة بجانب بلدة دير نحاس المحتلة، قتل فيها مستوطن يهودي، كما نفذت المنظمة عملية أخرى في بيسان بتاريخ ٢٣ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٥م على معسكر للجيش الإسرائيلي، وفي أواخر الشهر قامت المنظمة بنصب كمائن وزرع ألغام على الطريق المؤدي إلى مستعمرة الدوايمة غرب مدينة الخليل، مما أدى إلى تفجير عدد من الآليات

(١) جابر، مرجع سبق ذكره، ص٩ – ١٠.

(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية العام ١٩٦٦،مرجع سبق ذكره، ص١١٩. انظر أيضاً غازي خورشيد: مرجع سبق ذكره، ص١١١.

(٣) المرجع نفسه، ص٣٣.

العسكرية الإسرائيلية واعترف راديو إسرائيل بمقتل ستة وإصابة عدد آخر، وفي ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٥م، نفذت أبطال العودة أولى عملياتها في النقب في مدينة عارة بنسف مجمع أنابيب الغاز، بعد قتل الحارس الإسرائيلي[١].

وتؤمن منظمة أبطال العودة بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين من العدو الصهيوني، وبأن معركة التحرير لا تقوم بمعزل عن دعم مشاركة القوات العسكرية العربية[٢].

وكان الهيكل القيادي يأخذ الشكل الجماعي، بالرغم من توزيع الساحات، وكان ذلك بالتعيين وليس بالانتخاب، ولكن هناك قيادة مركزية ثابتة تقيم في دمشق، وهي على علاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وخاصة اللواء وجيه المدني قائد جيش التحرير والذي كان يصرف لمنظمة أبطال العودة حاجتها العسكرية، وتم اعتماد أبطال العودة كجزء من جيش التحرير الفلسطيني على أن تعمل بشكل مستقل[٣]. وأخذت سياستها العسكرية تأخذ مبدأ «فوق الصفر وتحت التوريط»[٤].

ويمكن القول: إن منظمة أبطال العودة كانت تنتمي بشكل غير مباشر إلى حركة القوميين العرب، ولاقت دعماً من منظمة التحرير الفلسطينية، وذلك للحد من التأثير المتصاعد للجناح العسكري لحركة فتح، وسحب البساط من تحت أقدامها.

٢- منظمة شباب الثأر:

وهو التنظيم الفلسطيني لحركة القوميين العرب ويعرف أيضا «باسم الجبهة

(١) جابر: مرجع سبق ذكره، ص١١ – ١٩

(٢) خورشيد: مرجع سبق ذكره، ص١١١.

(٣) جابر: مرجع سبق ذكره، ص١١.

(٤) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

القومية لتحرير فلسطين» ويمكن القول إنه بالنظر إلى تركز العنصر الفلسطيني في نشأة « حركة القوميين العرب»، وبنائها فإن الغايات الفلسطينية الأساسية كانت هي الطاغية على أهدافها، ومركز اهتمامها الرئيسي والمباشر[1].

وقد أكد أحمد اليماني أحد القادة البارزين للحركة أن جورج حبش منذ أن كان نائبا لرئيس اللجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى في الجامعة الأمريكية عام ١٩٥١م، كان شديد الاهتمام بأوضاع مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وأن اهتمام حركة القوميين العرب انصب على الاهتمام بالشؤون الحياتية للاجئين، كما اقتصر اهتمامها السياسي على هذا الصعيد، برفض مشاريع التوطين، ورفض مبدأ التعويضات، وما تفرع عنها[2].

وعلى الرغم من إيلاء حركة القوميين العرب للقضية الفلسطينية اهتماماً ملحوظاً فإنه يلاحظ غياب الدور الفلسطيني المستقل في الفكر الحركي طوال مرحلة الخمسينيات، وقد أسهم في ذلك اعتبارات يعود بعضها إلى مضمون الفكر القومي، وتصور القوميين العرب لقومية القضية الفلسطينية، وبعضها الآخر يعود لاعتبارات موضوعية خاصة بالظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية[3]. إضافة إلى عناصر الدعم السياسي المادي.

وقد تميز الفكر القومي العربي خلال مرحلة الخمسينيات في وقت كان فيه القوميون العرب خارج السلطة بتركيزه الشديد على الجانب الشمولي للقومية العربية، واهتمامه بإبراز البعد القومي للقضية الفلسطينية، القائم على أساس أن

(١) سامي أحمد: مرجع سبق ذكره، ص٤٨ – ٩٢.

(٢) الشعيبي: الكيانية الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص٨٥.

(٣) إبراهيم إبراش: البعد القومي للقضية الفلسطينية..مرجع سبق ذكره، ص٨٥١.

مسؤولية تحرير فلسطين هي مسؤولية عربية قومية، والشعب الفلسطيني ليس وحده المسئول عن تحرير فلسطين. ومن ناحية أخرى فالقوميون العرب كانوا ينظرون للواقع العربي المجزأ باعتباره نقيضاً للوضع الحقيقي والسليم الذي يمثله كون العرب أمة واحدة، وأن التركيز على خصوصية الفلسطينيين يؤدي إلى إضعاف قوة الدفع نحو تحقيق الهدف العربى الأسمى[1].

ولذا كانت السمة المميزة للقضية الفلسطينية في مرحلتي التطور الفكري للحركة (الطور القومي والاشتراكي) هو غياب الشخصية الفلسطينية المستقلة، والتفاعل مع القضية الفلسطينية باعتبارها جزءاً من الصراع العام الدائر بين الإمبريالية العالمية والصهيونية من جهة، وبين والأمة العربية من جهة أخرى[2].

وكان من المفارقات الخطيرة أن التركيز الذي أبدته الحركات القومية والحكومات العربية على قومية القضية الفلسطينية وقومية المسؤولية والمعركة، كان يضر أحياناً بالقضية الفلسطينية أكثر مما ينفعها. وذلك لأنه لم يكن التركيز والإلحاح في موازاتها على عمل جدي على المستوى نفسه، وقد أدى هذا بدوره إلى التشويه والإضرار بالقضية الفلسطينية على المستوى العالمي والإعلامي، فالصورة التي نقلت هي أن الصراع دائر بين إسرائيل الصغيرة وبين مئة مليون عربي يملكون المال والأرض الشاسعة، وأن العرب يرغبون بإلقاء اليهود في البحر[3].

في مقابل هذا التصور الذي كان يتركه الإعلام العربي دون أن يكون هنالك أي

(١) كوهين: مرجع سبق ذكره، ص١٩١.

(٢) جورج حبش: أربعون عاماً على اغتصاب فلسطين، الإعلام المركزي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ص٦٢ – ٦٣.

(٣) أبراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص٥٢.

عمل حقيقي، كان من الضروري إبراز الشخصية الفلسطينية، وإظهار أن قومية القضية الفلسطينية لا تعني عدم وجود خصوصية فلسطينية، وأن إسرائيل والصهيونية تشكلان خطراً قومياً مستقبلياً، وأن هذا الخطر بالنسبة للفلسطينيين قائم بالفعل، ويجب على العالم أن يعرف أن الصراع القائم فعلا هو صراع بين شعب فلسطين المشرد، وإسرائيل المدعومة من قوى الاستعمار، فإن نقلت صورة الصراع هذه إلى العالم، فإن ذلك يخدم القضية الفلسطينية أكثر ما تخدمه تعبيرات شمولية الصراع وقوميته دون أي فعل حقيقي. وفي السنوات الأخيرة من الخمسينيات شهدت الحركة بداية تنظيم عسكري فلسطيني بدعم من دولة الوحدة التي جمعت مصر وسوريا في شباط/ فبراير ١٩٥٨م[١].

وواصلت الحركة تشكيل وبناء فروعها التنظيمية في إطار فهمها القومي للقضية الفلسطينية والتي لخصت القضية في عبارة محددة «الوحدة هي طريق تحرير فلسطين»[٢]. وبذلك تشكلت بين العناصر الفلسطينية في الحركة عام ١٩٥٨م لجنة فلسطين، من كل من: جورج حبش، ووديع حداد، وأسامة النقيب من فلسطينيي سوريا، وزاهر قمحاوي من فلسطينيي الأردن وأحمد اليماني وعبد الكريم حمد من فلسطينيي لبنان[٣].

ويبدو أن هذه اللجنة كانت استجابة إجرائية لواقع جديد أكثر منها نزعة مسبقة لإيجاد تنظيم قطري فلسطيني، غير أن تطورات هذه الاستجابة انطوت، عملياً على

(١) عبد الرحمن: منظمة ...، مرجع سبق ذكره، ص٦٠.

(٢) باروت: مرجع سبق ذكره، ص١٨١.

(٣) الشعيبي: مرجع سبق ذكره، ص٨٦، أنظر أيضا يزيد الصانع: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

تلك النزعة، فقد كانت الحركة مضطرة لتشكيل هذه اللجنة، وتفعيل عملها، كي تتمكن من الاتصال بتشكيل الفدائيين الفلسطينيين في جيش الإقليم الشمالي (الجيش السوري سابقا) وبعبارة أخرى كانت لجنة فلسطين لجنةً لا تنظيماً[1]. واعتبر جورج حبش أن هذه اللجنة كانت إطاراً أولياً لمنظمة «شباب الثأر»[2].

ورفعت اللجنة شعاراً بأن تحرير فلسطين يجب أن يتم من خلال الفلسطينيين، واعتماداً على دولة الوحدة، وقد وضع هذا الشعار موضع التنفيذ العملي، فاتصلت اللجنة بدولة الوحدة، وقابلت الرئيس جمال عبد الناصر في إحدى زياراته لدمشق، عام ١٩٥٩م، وطالبته بتدريب الفلسطينيين، وإعدادهم، وتوفير السلاح لهم، وقد وافق عبد الناصر، وبالفعل تم تدريب عدد من الفلسطينيين في سوريا على يد بعض الضباط، وتم إرسال ٣٠ قطعة سلاح كدفعة أولى لمتدربين وصلت قبل أيام قليلة من وقوع الانفصال عام ١٩٦١[3].

وبذلك عرفت «حركة القوميين العرب» ولأول مرة في تاريخها السياسي، تكوين جهاز فلسطيني خاص، عرف باسم «إقليم فلسطين»، أسوة ببقية لجان الحركة، وتم فرز الكوادر الفلسطينية المنتمية إلى الحركة أينما وجدوا إلى هذا الإقليم، ونظراً إلى مركزية الفلسطينيين بشكل عام في أجهزة الحركة وفروعها، فقد استغرقت عملية الفرز هذه وقتا طويلاً[4]. فيما أخذت التجمعات الجغرافية المختلفة داخل الحركة تواجه ظروفاً سياسية محلية مختلفة، لذلك فإن التماسك الداخلي في حركة

(١) باروت: ، مرجع سبق ذكره، ص٣٠٠.

(٢) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، سجل الخالدين، ج١، ١٩٦٧ – ١٩٧١ (د.ت)، ص٧.

(٣)الشعيبي: الكيانية الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص٨٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٧.

القوميين العرب أخذ يتفكك أيضاً، بفعل صراع الأجيال داخل قيادتها المركزية.

وتدل معظم مصادر الحركة والجبهة الشعبية على أن المؤتمر القومي الذي عقدته الحركة في بيروت عام ١٩٦٤م يعتبر المفترق الأساسي في هذه العملية، وأن المناقشات التي تلت المؤتمر أدت إلى وضع لم يعد معه تاريخ الحركة منذ ١٩٦٤م، يدل على أنه تنظيم قومي مركزي، إضافة إلى عوامل أخرى، منها : تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في مطلع ١٩٦٤، وقيام النشاط التنظيمي لفتح، وقد حدا ذلك بجورج حبش ووديع حداد إلى البدء بتأسيس تجمع فلسطيني مستقل داخل الحركة، ثم تبنى مؤتمر الحركة هذه الخطوة في أيار/ مايو ١٩٦٤م، وقد أطلق على التجمع اسم (الجبهة القومية لتحرير فلسطين)، واستحدث لها فرعاً عسكرياً باسم «شباب الثأر»[١]. وتولى الدكتور وديع حداد بشكل أساسي مسؤولية الإعداد الفدائي وفق شهادة الدكتور جورج حبش[٢].

وقد بدأت الخطوات العملية لهذه المنظمة خلال النصف الثاني من عام ١٩٦٤، حيث قام عناصرها بالنزول إلى داخل إسرائيل، ومارسوا عمليات استكشاف واتصال مع العرب هناك، كما عملوا على تخزين بعض الأسلحة بهدف استعمالها في الوقت المناسب، وقد حدث أول اشتباك بين هذه العناصر وبين قوات إسرائيل في ذكرى وعد بلفور في عام ١٩٦٤م[٣]. والتي سقط في هذا الاشتباك أول شهدائها وهو الشهيد خالد أبو عيشة في ٢ نوفمبر / تشرين الثاني، واعتقل أحد مناضليها[٤].

(١) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٢١ – ٢٢٢.

(٢) باروت: مرجع سبق ذكره، ص٣٠٣.

(٣) عبد الرحمن: منظمة ...، مرجع سبق ذكره، ص٦٠.

(٤) بيان رقم (١) لمنظمة «شباب الثأر» أيار / مايو ١٩٦٧م / الوثائق العربية الفلسطينية لعام ١٩٦٧م، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٠.

كما نفذت مجموعة من مناضليها فى ٢٨ أيار/ مايو ١٩٦٧م عملية تفجير لغم تحت جسر يقع بين (مستوطنة أدمت) و(بركة عربين) مما أدى إلى تحطيم الجسر تحطيماً كاملاً[١].

واستمرت المنظمة في عمليات فدائية متقطعة ضد أهداف إسرائيلية حتى حرب ١٩٦٧م، وقد استفاد هؤلاء الفدائيون من انتمائهم إلى «حركة القوميين العرب» من جوانب عدة، فقد استفادوا من التجربة التنظيمية العريقة للحركة، وهو ما قدم الخبرات والكوادر المخضرمة، وقد ارتبط ذلك باستثمار اتصالات الحركة السياسية والتنظيمية في مختلف الأقطار، فتمكنت قيادة «إقليم فلسطين» من دعم الجهد العسكري في أماكن وجودها، وخصوصاً الضفة الغربية، وقطاع غزة، ولبنان، وسوريا، كما استفاد «شباب الثأر» من العلاقة الودية بين حركة القوميين العرب وبين الحكومة المصرية، فوفر ذلك بعض التسليح والتدريب، وقدراً أكبر من حرية النشاط السياسي والتنظيمي في قطاع غزة.

٣- جبهة التحرير الفلسطينية:

شهدت الخمسينيات من القرن العشرين اشتعال عدد من الثورات الوطنية في أنحاء مختلفة من العالم وفى مقدمتها ثورة الجزائر، وتحقيق انتصارات عربية تحررية كبرى انعكست آثارها على الشعب الفلسطيني، فأنعشت آماله بالعودة، وكشفت أمام أعين الفلسطينيين الواقع السيء الذى كانوا يعيشونه، فأخذت مجموعات نشطة منهم تبدي تململها من الخضوع للواقع المظلم وتدعو لبحث الوضع والبحث عن الحلول[٢].

(١) بيان رقم (٢) لمنظمة شباب الثأر، المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٢) الموسوعة الفلسطينية: القسم العام، المجلد الثانى، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.

ويروي أحمد جبريل قائلا: إنه حاول الانضمام للمقاومة الجزائرية لكى يقاتل معها حتى يعود بتجربة حرب الشعب الجزائري إذا شاء له القدر بالعودة[1]. فتوجه مع مجموعة من زملائه الطلاب الجزائريين إلى الإسكندرية، لينطلق منها إلى الجزائر، وفي الإسكندرية التقي مع قائد في الثورة الجزائرية يدعي (عميروش)، لكن أحمد جبريل فوجئ برده عندما قال له: «تأكد أنه لا يوجد إلا الجزائري في الثورة الجزائرية، وهذه قوانين اتفقنا عليها مع قيادات الثورة» وهكذا صدم أحمد جبريل من رد عميروش، وعاد إلى القاهرة لكى يواصل دراسته فى كلية الهندسة العسكرية، وفي عام ١٩٥٩م عاد أحمد جبريل إلى سوريا وعمل ضابطاً في الجيش السوري، وسعى لتشكيل تنظيم سري مؤمن بالكفاح المسلح، وطرح فكرته على ضباط كانوا يتدربون معه، على رأسهم علي بوشناق، ويوسف طبل (ضابط سوري)، وعدنان داغستاني (ضابط سوري)، وعثمان حدادي الذي شغل فيما بعد موقع قائد في جيش التحرير الفلسطيني، وفضل شرورو، واتسعت الدائرة، فانضم طلبة فلسطينيون كانوا ضباطاً في الجيش السوري مثل: رياض سعيد، وسيف الدين عسكر، ومحمد سلطي[2]. وفي نهاية عام ١٩٥٩ أطلق أحمد جبريل اسم جبهة التحرير الفلسطينية، على تنظيمه الجديد تيمناً باسم «جبهة التحرير الجزائرية»[3].

لقد طرحت «جبهة التحرير الفلسطينية» شعاراً محدداً، تبنت فيه الأسلوب العالمي للثورات، أي حرب العصابات، وعلى الرغم من ذلك لم يكن القائمون على أمور الجبهة يملكون غير الرغبة الصادقة في العمل من أجل تغيير الواقع السيء الذي كان يعيشه الشعب الفلسطيني، بهدف استرداد الوطن المغتصب، فلم تكن

(١) أحمد جبريل: شاهد على العصر، الحلقة الأولى، قناة «الجزيرة» ٧ / ٨ / ٢٠٠٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) خورشيد: دليل ...، مرجع سبق ذكره ص١١١.

عملية التنظيم السياسي والوعي الثوري قد اكتملت عندهم إلى حد تبني نظرية ثورية متكاملة تطرح على الجماهير، لهذا كان برنامج الجبهة عاماً، انتقى مما هو موجود في الساحة العربية، وأقام ائتلافاً وتحالفاً بين طبقات الشعب من عمال، وفلاحين، ومثقفين ثوريين، وبرجوازيين وطنيين[1].

لقد كانت المعركة مع العدو الصهيوني معركة تحرر وطني فكان لابد من الانتصار، وذلك من خلال تحالف مختلف القوى الوطنية، وتجسد هذا البرنامج في المبادئ الستة التي طرحتها الجبهة، وأطلقت عليها اسم المبادئ الائتلافية وهي:

١- الشعب العربي الفلسطيني هو المسئول عن قضيته ومن خلفه الشعوب العربية.

٢- رفض الوصاية على الشعب الفلسطيني من أي جهة سواء كانت نظاماً، أو حكماً، أو حزباً، أو أية جهة أخرى، وقضية فلسطين قضية قومية يجب على كل عربي دعمها.

٣- تحريم التكتل والنشاط الحزبي ضمن صفوف الجبهة.

٤- الديمقراطية، والاستشارة، والإجماع ضرورات لتحقيق انتصار المسيرة النضالية.

٥- رفض أنصاف الحلول والحلول الوسطى للقضية الفلسطينية، أو أي مشروع تسوية القصد منه تصفية القضية الفلسطينية.

٦- شكل الحكم وكل ما يتعلق به متروك لما بعد التحرير، ويقره مجلس وطني فلسطيني.

(١) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص١٩٠.

وقد اتبعت الجبهة في طور نشأتها أسلوب العمل السري في الأقطار العربية، وكانت ساحته الأساسية في سوريا[1]. وأقامت تنظيمها على أساس التسلسل الهرمي من الزمرة إلى الفصيل ثم المجموع فالجزئيات والفرعيات ثم المركز، وكان عدد أفراد التنظيم محدودا أول الأمر، وجابه استقطاب العناصر وإعدادها للقتال صعوبات كبيرة، في ظل الأوضاع السياسية العربية القائمة آنذاك، وهذا ما أعاق العديد من المنظمات من المحافظة على سرية عملها (تدريب، تمارين، إقامة معسكرات، تعبئة).

وكان للجبهة في عام ١٩٦٤م، بعض الخلايا والكوادر المقاتلة، ولكن حاجة هؤلاء لاستكمال التدريب وتعرفهم بطبيعة الأراضي الفلسطينية التي ستعتبر ساحة لعملياتهم جعل نشاط الجبهة العسكري يؤجل إلى أن تم تشكيل ثلاث مجموعات قتالية في عام ١٩٦٥ وهي[2]:

١- مجموعات الشهيد عز الدين القسام، ومركزها سوريا، وعملها في سهل طبريا وقرى الجليل الأعلى.

٢- مجموعة الشهيد عبد القادر الحسيني، ومركزها الضفة الغربية، وعملها محصور في الحدود المتاخمة للضفة الغربية.

٣- مجموعات الشهيد عبد اللطيف شرورو، ومركزها سوريا، وعملها في جنوب لبنان وشمال فلسطين.

وقد قامت هذه المجموعات الثلاث بعدد من العمليات العسكرية، من بينها

(١) خورشيد: مرجع سبق ذكره، ص١١١. انظر أيضا الموسوعة الفلسطينية، ج٢، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٢) دراغمة: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٩

نسف قطار القدس في منتصف عام ١٩٦٦م، ونسف السكة الحديد في المكان نفسه، ومهاجمة مستعمرة ديشوم في الجليل الأعلى، والذي سقط فيها أول شهيد للجبهة، وهو خالد الأمين، وزرع ألغام في ملعب لكرة القدم أدت إلى مقتل لاعبين إسرائيليين، وتفجير باص يحمل خبراء عسكريين، على الطريق بين صفد والجاعوم قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧م[١]. ونسف سينما رويال في حيفا، حيث وقع أول أسير للجبهة بأيدي الإسرائيليين هو سمير درويش[٢].

وعلى الرغم من هذه العمليات النوعية لفرق الجبهة الثلاث فإن الجبهة لم تعلن عن نشاطها المسلح إلا في منتصف عام ١٩٦٧م إثر حرب حزيران / يونيو[٣].

وقبل حرب حزيران / يونيو بأسبوع واحد، احتاطت جبهة التحرر الفلسطينية لإمكان نشوب القتال، وذلك بأن اختارت نقطة تجمع في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق، والتقى في المخيم عدد يتراوح ما بين ١٥٠ – ٢٠٠ عضو، فضلاً عن مئات المتطوعين الآخرين الذين كانوا في اليوم الثاني للحرب قد انضموا إلى القوة التابعة لحركة القوميين العرب المتجمعة في مدرسة الأليانس (فلسطين). وبعد أن تسلم أعضاء جبهة التحرير الفلسطينية أسلحة من جيش التحرير الفلسطيني، تحركت قوة بأكملها نحو مرتفعات الجولان، وعند اقتراب المتطوعين من بيت جن في اليوم الخامس للحرب، التقوا بالوحدات السورية المنسحبة، وتوقفوا على مقربة من الإسرائيليين المتقدمين، وكان كثير من المتطوعين غير مسلح، وكان واضحاً أن أغلبيتهم رأى أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى مواجهة عدو يتمتع

(١) أحمد جبريل، شاهد على العصر، مرجع سبق ذكره، الحلقة الثالثة، انظر كذلك الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص٢٠.

(٢) الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، مرجع سبق ذكره، ص٢٠.

(٣) عبد الرحمن: منظمة ....، مرجع سبق ذكره، ص٥٩.

بتفوق ساحق، وآثرت القوة التابعة لحركة القوميين العرب بقيادة فايز قدورة الانسحاب ومعها معظم أعضاء جبهة التحرير الفلسطينية، وكان جبريل عاجزا عن السيطرة على رجاله، فبقي مع عدد قليل من أنصاره في جهة القتال حتى نهاية الحرب[1].

وتحدى جبريل منتقديه، وخيرَّ المتجمعين بين تأييده ومعارضته، وقررت أغلبية كبيرة بينها طلال ناجي الذي أصبح نائباً له فيما بعد الوقوف ضد جبريل الذى تولى مع زميله أحمد بشناق، قيادة نحو (٨٠)عضواً، وتوجه إلى دوما (العين السخنة) وأقام فيها معسكراً للتدريب كان أول معسكر دائم للجبهة[2].

والذي عاد على جبريل بفائدة ضخمة، فأتاح له استيعاب فئات الشباب المتحمسين الذين جاءوا من كل مكان للالتحاق بالفدائيين، وما أن انقلب الميزان حتى دخلت الأغلبية مفاوضات للانضواء مجدداً تحت قيادة جبريل.

وقد أعلنت الجبهة بدء الثورة المسلحة لتحرير فلسطين، فى ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٦٧، مع أن ذلك الإعلان لم يرافقه أي هجوم مسلح، ولكنه حث مركز حركة القوميين العرب على اتخاذ خطوة نحو بدء العمل العسكري الخاص به، وقد تسارعت من ناحية أخرى محادثات رامية إلى الوحدة مع جبريل[3].

وفي مطلع عام ١٩٦٨م، نشبت خلافات تنظيمية وإدارية داخل تنظيم الجبهة الشعبية أدت إلى خروج أحمد جبريل وتنظيمه بسبب إصراره على تبني العمل العسكري المسلح، ورفض تأجيله لهذا الموضوع، وقد شكل بتنظيمه فصيلاً

(١) الصايغ: رفض الهزيمة...، مرجع سبق ذكره، ص٤٢.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٢.
(٣) نفسه، ص٤٢.

عسكرياً مسلحاً، أطلق عليه اسم الجبهة الشعبية لحرير فلسطين القيادة العامة[1].

٤- الضباط الوحديون والمستقلون:

انضوت هذه المجموعة في ائتلاف الجبهة الشعبية، وهم مجموعات من الضباط الفلسطينيين الذين كانوا يخدمون في القوات المسلحة الأردنية آنذاك، وهم ذوو توجه ناصري، وتميزوا بتعاونهم التقليدي مع الحركة، وكانوا على صلة وثيقة بالتجمع الوطني في الأردن الذي شاركت فيه حركة القوميين العرب، وكان على رأسه سليمان النابلسي، وعدد من الوجوه الوطنية الأردنية[2]. وتم إخراجهم من صفوف الجيش الأردني بعد انكشاف أمر تنظيمهم بزعامة الضابطين الفلسطينيين أحمد زعرور ويوسف أبو اصبع[3]. وشخصيات مستقلة لم يعلن عنها في بيان التأسيس[4].

◆◆◆

(١) دراغمة: مرجع سبق ذكره، ص١٠٨.

(٢) باروت: مرجع سبق ذكره، ص٤٤٣ – ٤٤٤.

(٣) دراغمة: مرجع سبق ذكره، ص١٠٨ وأكد المعلومات جميل المجدلاوي: مقابلة مع الباحث. وانظر أيضاً على بدوان: اليسار الفلسطيني المسلح والبناء – المتميز، جريدة الأيام (رام الله) ١/ ٩/ ١٩٩٨م العدد ٩٦٨، ص٢٣.

(٤) أبو علي مصطفى: حقيقة ما حدث، الأيام (رام الله). ٩/ ٦/ ١٩٩٨م العدد ٨٨٤، ص١٦.

الكادر الأساسي للجبهة الشعبية

تشكلت الجبهة الشعبية باندماج أربع مجموعات فلسطينية، ونظراً لاتكاء الجبهة الشعبية على التراث السياسي لحركة القوميين العرب، وعلى السيرة النضالية لمؤسسي الجبهة والذين ترجع أصولهم السياسية لحركة القوميين العرب، والذين ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة، ورغم ذلك فإنهم تبنوا فى مرحلة الجبهة الشعبية فكرة الطبقة العاملة(الماركسية- اللينينية)(١).

وفى دراسة أجراها الباحث على عينة كبيرة(*). من أوائل المنتسبين للجبهة الشعبية فى الفترة ما بين ١٩٦٧- ١٩٧١ تبين أن:

- جاء غالبيتهم من اللاجئين الفلسطينيين، ومعظمهم كان ينتمي لحركة القوميين العرب، وتأتى قيادات الجبهة من اللاجئين القادمين من شمال فلسطين بالدرجة الأولي، والذين وفدوا إلى لبنان بحكم دراسة قيادتهم فيه المتمثلة بجورج حبش وهاني الهندى ووديع حداد وجهاد ضاحي قبل نشأة حركة القوميين العرب والتى انطلقت نواتها الأولى في بيروت.

- حوالي ٥٣٪ منهم يحمل الشهادة الجامعية ومعظمهم تخرج فى جامعات مصرية و لبنانية.

- تتشابه ظروفهم الفكرية والتنظيمية، خاصة بعد عام١٩٦٩، حيث تشكل

(١) خيرية قاسمية: الحركة القومية الفلسطينية فى ثلثي القرن الحالي، ١٩٠٠- ١٩٦٤، الموسوعة الفلسطينية قسم الدراسات الخاصة ، المجلد الخامس، القسم الثانى، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠، ص١٢.

(*) انظر الملحق رقم (٢).

معظمهم من حركة سياسية واحدة، وهى حركة القوميين العرب.

وسنقتصر فى هذا البحث على دراسة السيرة الذاتية لأبرز الشخصيات المؤسسة للجبهة، حيث سيتم التطرق إلى أربعة من مؤسسي الجبهة الشعبية، وهم جورج حبش وأبو علي مصطفي ووديع حداد و غسان كنفاني، لما لهم من أثر واضح فى رسم سياسة الجبهة، فجورج حبش هو الأمين العام للجبهة منذ انطلاقها حتى عام ٢٠٠٠، أما أبو علي مصطفى فهو نائب الأمين العام للجبهة الشعبية، ثم أصبح الأمين العام للجبهة عام ٢٠٠٠ واستشهد فى عام ٢٠٠١، ووديع حداد العضو المؤسس للجبهة الشعبية، والذى قاد العمل الخارجي فيها وقد استشهد عام ١٩٧٩، وغسان كنفاني وهو مؤسس فى الجبهة الشعبية، ومؤسس مجلة الهدف ومحررها، وقد استشهد فى عام ١٩٧٢، وسوف نتطرق لكل منهم بشيء من التفصيل:

د. جورج نيقولا رزق حبش (الحكيم وأبو اليس):

هو من مواليد مدينة اللد وهي إحدى المدن الصغيرة في فلسطين، ولد عام ١٩٢٥م وسط عائلة ميسورة ومسيحية من الروم الأرثوذكس، وهو ابن تاجر أرز[١]. كان والده يملك دكاناً صغيراً في اللد وعندما انتقل إلى يافا توسعت تجارته[٢]. وكان يملك بيارة في صرفند كرمن في قضاء الرملة، والدته متعلمة ومن عائلة متواضعة، ارتضت أن تكون سيدة منزل. وتتكون أسرة نيقولا من جورج، وأخ يكبره سناً، وخمس أخوات[٣].

(١) باروت:، مرجع سبق ذكره، ص٤٠، وانظر أيضا أبو علي مصطفى: قناة الجزيرة، برنامج «بلا حدود» ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٢م.

(٢) جورج حبش: التجربة ...، مرجع سبق ذكره ص٣.

(٣) طلال عوكل: الحكيم جورج حبش، الرجل الذي رفض أن يقرأ التاريخ متشمساً، الأيام، (رام الله) العدد (١٥٧١) ٦ / ٥ / ٢٠٠٢م، ص١٥.

بقي جورج حبش في مدينة اللد حتى أكمل المرحلة الابتدائية، ولما كانت والدته حريصة جداً على توجيهه لإكمال دراسته، غادر إلى يافا، وهي أقرب مدينة إلى اللد، فالتحق بمدرسة أرثوذكسية اسمها «الثانوية الأرثوذكسية» وبعد أن أنجز دراسته بها (الصف الثاني الثانوي) انتقل إلى كلية (تراسنتا في القدس) وكان حريصاً دائماً على أن تكون درجاته جيدة، بالإضافة إلى حرصه على ممارسة هواياته، ومنها قراءة الأدب، والشعر، والعزف على آلة (البستون) النحاسية[1].

نال حبش شهادة الثانوية من كلية (تراسنتا في القدس) وهي شهادة تعادل التوجيهي، ثم عاد إلى يافا ليساعد والده في التجارة، وفي الوقت نفسه عمل مدرساً في نفس المدرسة التي تعلم بها في يافا لمدة سنتين[2]. ثم توجه إلى بيروت سنة ١٩٤٤م للالتحاق بالجامعة الأمريكية، وفي هذا الأثناء كانت ظروف الحرب العالمية الثانية طاغية، مع ذلك ظل حبش حتى عام النكبة يعيش حياة عادية جداً، ولم تكن السياسة تشكل له هاجساً، ومن باب أولى أنه لم يكن منخرطاً في أي تنظيم سياسي[3].

ويروى حبش قائلاً: «كانت نشاطاتي وهواياتي فى تلك الفترة عادية، وليست حادة على الصعيد السياسي، ربما لأن القضية الفلسطينية كانت مستوعبة من خلال الظرف الدولي، لكن قرار التقسيم الذي اتخذ فى نوفمبر ١٩٤٧م أحدث حالة حادة فى ذهني وفى المنطقة، ووجدت نفسي مع بداية السنة الثانية من كلية الطب أعيش جواً سياسياً سببه قرار التقسيم، وكانت مشاعري تتركز حول نقطة واحدة، وهى أن قرار التقسيم يجب ألا يمر، ووجدت نفسي أشارك فى تظاهرة تستنكر قرار التقسيم»[4].

(١) مطر: مرجع سبق ذكره، ص١٢.

(٢) المرجع نفسه، ص١٣.

(٣) الجبهة الشعبية :جورج حبش،المركز الطلابي التقدمي، غزة ،١٩٩٦ ص ٥.

(٤) مطر: مرجع سبق ذكره، ص ١٧.

ظل وضع حبش على هذا الحال حتى بداية السنة الرابعة فى الجامعة، وفى أحد الأيام جاءه صديقه من الجامعة، واسمه معتوق الأسمر (من نابلس)، وعرفه على الأستاذ قسطنطين زريق(*)[1].

وقد كان زريق ينظم حلقات ثقافية، هدفها التوعية، وإثارة النقاش[2]. وقد بدأ زريق بتشكيل حلقات المناقشة لطلبة الجامعة عقب الهزيمة العربية عام(١٩٤٨م)[3]. كما كان زريق يقوم بدور المرشد للجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى(*)[4].

وفى نهاية حزيران/ يونيو ١٩٤٨ كانت الهجرة من فلسطين على أشدها، وانتهى العام الدراسي، وأقفلت الجامعة، فعزم حبش على العودة الى فلسطين، وإلى مدينة اللد بالذات، التي كانت كغيرها من المدن والقرى الفلسطينية تعيش حالة من الإرباك الشديد، وكان فى المدينة لجنة اسمها اللجنة القومية (فرع اللد) برئاسة الحاج أمين الحسيني، دعت هذه اللجنة الأهالي الى عدم الرحيل، بل حاولت منع الناس من المغادرة، وكان بعض الناس المطمئنين الى وجود قوة من الجيش العربي فى

(*) عمل قسطنطين محاضرًا فى الجامعة الأمريكية ، ببيروت ، وهو من أبرز من تنبهوا للخطر الصهيوني وصلته بمصير القومية العربية ، وما آلت إليه

(١) السيد ياسين: تحليل مضمون الفكر القومي، دراسة استطلاعية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٤، بيروت، ١٩٩١، ص ٥٩.

(٢) جورج حبش: شهادات عن الاحتلال والتهجير، مجلة الدراسات الفلسطينية، (بيروت)، ١٩٩٨، ص ٩٨.

(٣) قسطنطين زريق: الأعمال الكاملة، المجلد الأول، دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص١٩٥.

(*) هي جمعية أدبية ، تأسست في أوائل العشرينات في الجامعة الأمريكية بيروت وحولت إلى جمعية قومية منذ بداية الأربعينيات، انظر الموسوعة الفلسطينية، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٦.

(٤) السيد ياسين، مرجع سبق ذكره ص ١١٥.

موقع قريب من البلدة يعتقد أن هذه القوة ستحول دون سقوط اللد، وما حدث هو أن القوات اليهودية شنت هجوما كبيرا ودخلت المدينة[1]. فشارك حبش مع المتطوعين في صد الهجوم عن المدينة[2]، كما توجه حبش الى مستوصف المدينة ليشارك في إسعاف الجرحى: ويتذكر حبش صورة سقوط اللد قائلاً: «مازال ماثلاً فى ذهني منظر المستوصف يعج بالجرحى. ومنظر جامع البلدة وكنيستها يعجان باللاجئين، وما زال منظر الفتاة الجريحة التي تصرخ طالبة أن تشرب، ومنظر الأم تبكي ابنها، أو طفلها، أو زوجها، لقد كان ذلك اليوم فظيعاً، بالإضافة إلى المستوصف، فقد امتلأ المستشفى الإنجليزي بالمصابين، لكن عدد الأطباء فيه قليل، ولذلك كان الأطباء يسعفون من هو على رمق الحياة على أمل إنقاذه، أما من كانت إصابتهم جسيمة، فكانوا مكومين فى ردهات المستشفى. لقد سقطت المدينة، واليوم وأنا أتذكر السقوط ينتابني الحزن الذى يواكبه التصميم على العودة، عبر النضال إليها، والى كل مدينة وقرية فى فلسطين»[3].

وبعد احتلال مدينة اللد غادر حبش مع باقي عائلته الى رام الله ومنها ذهبت عائلته إلى عمان، وذهب هو إلى بيروت لمتابعة دراسته فى الجامعة الأمريكية[4]. وبعد أن غادر الى الجامعة وجد أن جمعية العروة الوثقى –الجمعية التي انتخب فيها نائباً للرئيس قبل مغادرته الى اللد– هى الطريق للتعبير عن ردود الفعل عما يجري فى فلسطين، وأصبحت الجمعية هى الإطار الذى من خلالها يمكنه التعبير عن مواقفه

(١) حبش: شهادات عن الاحتلال، مرجع سبق ذكره، صفحة ٩٨-٩٩.

(٢) Schiff، Zeev & Rothstein، Ibid،، p109.

(٣) مطر: مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(٤) جورج حبش: التجربة النضالية، مرجع سبق ذكره، ص٣.

ومشاعره تجاه ما حدث فى فلسطين[1]. وضرورة عدم الاستسلام. ومع نهاية عام ١٩٤٩م جرت انتخابات جديدة لجمعية العروة الوثقى ليترأس قائمة التيار القومي[*] ضد قائمة من الشيوعيين[2]. وحاز حبش ومجموعته على أكثرية مطلقة من أصوات المقترعين، وقد كان فوزه بداية التفكير لبناء منظمة سياسية[3]. حيث وجه حبش مقترحات لأعضاء اللجنة التنفيذية للجمعية، بتأسيس منظمة سرية قومية تكون اللجنة التنفيذية للعروة الوثقى نواة لها، وقد استجاب لهذا الاقتراح كافة الأعضاء[4]. وقد تضمن الحد الأدنى من برنامجهم اغتيال القادة العرب الذين أبدوا استعدادا للصلح مع إسرائيل كذلك عملوا على نسف الهدنة مع إسرائيل[5].

وقد اكتشفت المنظمة الوليدة ومع نهاية ١٩٤٨م، أن هناك مجموعتين فى سوريا مماثلتين لها من حيث الأهداف والفكرة وهى: مجموعة يقودها جهاد ضاحى الذي كان طالبا بجامعة دمشق، والأخرى بقيادة حسين توفيق وعبد القادر عامر من مصر، والمجموعة الأخيرة كانت حين ذاك لاجئة سياسية فى سوريا بعد اغتيال أمين عثمان وزير المالية المصري[6]. وكان هاني الهندي مهندس الاتصال بين المجموعات الثلاث،

(١) مطر: مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

(*) القائمة القومية هي: أحمد الخطيب (رئيسا) وعبد المحسن القطان (نائبا للرئيس)، سلامة عبد الحميد (أمينا للسر)، صالح الشبل (أمينًا للصندوق)، والأعضاء: وديع حداد، حامد الجبورى، مصطفى غندور، وفهيمة الحكيم للمزيد، انظر: هاني الهندي، نصراوى، مرجع سبق ذكره، ص١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤.

(٣) أبو على مصطفى: مرجع سبق ذكره ص٥.

(٤) معن زيادة: مرجع سبق ذكره ص٣٣٦.

(٥) الكبيسي: مرجع سبق ذكره، ص ٥٩.

(٦) رسالة للباحث من نايف حواتمة ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠٢.(الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) وانظر كذلك: فاضل الربيعي: كبش المحرقة، نموذج القوميين العرب، شركة رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٩٩.

حيث تم تشكيل منظمة «كتائب الفداء العربي» وقيادتها الخماسية المكونة من (جهاد ضاحي، وهاني الهندي، وجورج وحبش، وحسين توفيق، وعبد القادر عامر)[1].

وتلخصت أفكار المنظمة بشكل مبسط فى أن إزالة إسرائيل أمر مرهون بقيام الوحدة العربية، ودعت منظمة الكتائب الى وحدة سوريا، والعراق، والأردن، دون النظر إلى طبيعة النظم السياسية (ملكي ، جمهوري)[2]. وقامت المنظمة بمجموعة عمليات مسلحة بإلقاء القنابل على بعض السفارات، ووضع الخطط لاغتيال الملك عبد الله، وبلوب باشا، ونوري السعيد[3].

بيد أن هذه المنظمة سرعان ما تفككت بعد محاولة اغتيال نائب رئيس الأركان السوري أديب الشيشكلى، فى ١٢ كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٠م[4]. وقد أدى فشل المحاولة إلى ملاحقة الشرطة العسكرية لأعضاء المنظمة واعتقال بعضهم، بينما اضطر بقية الأعضاء إلى اللجوء للتخفي، وقد تمكن حبش من التخفي بمساعدة أصدقاء له فى بيروت[5].

وشكلت محاولة اغتيال الشيشكلى منعطفا حاسما فى حياة حبش، فاقتضى الأمر الإسراع بتأسيس منظمة بديلة من بيروت، وتحديداً الجامعة الأمريكية، فانصرف حبش نحو بناء منظمة للنضال الجماهيري[6]، اطلق عليها فيما بعد اسم حركة القوميين العرب .

---

(١) باروت: مرجع سبق ذكره، ص ٦٠.

(٢) نايف حواتمة يتحدث: مرجع سبق ذكره، ص٧٣

(٣) مطر: مرجع سبق ذكره، ص٢٨.

(٤) نايف حواتمة يتحدث، مرجع سبق ذكره ص٣٩.

(٥) الكبيسى: مرجع سبق ذكره، ص٦٢.

(٦) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اللجنة المركزية، مشروع وثائق المؤتمر الوطني السادس، كانون الأول / ديسمبر١٩٩٧، ص٩٩.

وقد تخرج حبش طبيباً للأطفال من الجامعة الأمريكية في بيروت، عام١٩٥١م، وظل يمارس مهنته الطب حتى عام ١٩٥٧م في مستوصف شعبي بالعاصمة الأردنية عمان، وبدأ يعمل طبيباً وسياسياً، واتصل بأوسع قواعد الجماهير، وتفاعل معها، واختار العناصر المناسبة لتنظيمه، وفي ربيع عام ١٩٥٧ تعرضت الحركة الوطنية في الأردن لعملية قمع[١]. فقرر حبش التخفي والخروج من عمان إلى دمشق، بعدما صدرت بحقه عدة أحكام في الأردن في الفترة ما بين ١٩٥٧– ١٩٦٣م، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيروت[٢].

وتزوج حبش من ابنة عمه هيلدا حبش (من مدينة القدس) عام ١٩٦١م، والتي وقفت إلى جانبه وشاركته حياته النضالية، وأنجبا ابنتان (ميساء) وهي طبيبة متزوجة ولها ثلاثة أولاد، (ولمى) وهي مهندسة كيماوية. هذا وقد استمرت مرحلة عمل الحركة من خلال الدعم الناصري من ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٥٨م حتى حزيران/ يونيو ١٩٦٧م[٣].

كما أسهم جورج حبش في كانون ثاني/ ديسمبر ١٩٦٧م في تأسيس «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» والتي بدأت مباشرة بممارسة الكفاح المسلح عبر جبهة الأردن، وسوريا، ومن داخل الأرض المحتلة، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله في سوريا عام ١٩٦٨م لمدة سبعة أشهر ونصف وذلك لممارسة الكفاح المسلح عبر أراضيها[٤]،

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٢) أبو علي مصطفى: قناة «الجزيرة»، بلا حدود، مرجع سبق ذكره.

(٣) مطر: مرجع سبق ذكره، ص٦٦.

(٤) الجبهة الشعبية : جورج حبش، مرجع سبق ذكره، ص٢١، وانظر أيضا فيصل جلول: حركة القومين العرب، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت، تموز / يوليو – أيلول / سبتمبر ١٩٨٢، العدد (٢٨)، السنة الرابعة، ص١٩١.

واتهامه بمحاولة انقلاب ضد النظام السوري(*).

ولقب جورج بالحكيم، وهو لقب أطلقه عليه رفاقه، ليس لأنه طبيب فحسب، بل لحكمته السياسية أيضا التي قاد فيها العمل السياسي على مدار عقود متواصلة، اكتسب خلالها شعبية جماهيرية كبيرة على امتداد الوطن العربى، وعرف عنه رباطه الجأش، إلى جانب حسه الإنساني العالي، بالإضافة إلى الكاريزما الخاصة التي تميز بها(1).

وتمت عملية تهريبه من السجن، خطط لها ونفذها الدكتور وديع حداد، وعندما أصبح حبش خارج السجن عام ١٩٦٩م انتقل إلى الأردن سراً في العام نفسه، حيث كانت مرحلة المقاومة الفلسطينية في الأردن قد شهدت الكثير من التوترات والمصادمات مع الجيش الأردني، أدت إلى معارك ضارية في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٠م، وخروج المقاومة الفلسطينية من عمان إلى أحراش جرش، وفي العام ١٩٧١م تم تطويق القواعد الفدائية، مما أدى إلى خروج المقاتلين والقيادة إلى لبنان(2).

(*) في ١٩ آذار/ مارس ١٩٦٨م اعتقلت السلطات السورية حبش ، وضابط الارتباط لحركة القوميين العرب في دمشق «فايز قدورة» و١٧ من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كما أوقف أحد مؤسسي جبهة التحرير الفلسطينية «علي بشناق» ثم تبعه أحد قياديي الجبهة «أحمد اليماني » وكان هذا ظاهرياً لمعاقبة الجبهة الشعبية على تدميرها خط الأنابيب الذي يحمل النفط السعودي إلى ميناء الزهراء في لبنان، في مكان يمر الخط فيه بهضبة الجولان. أما الحقيقة فكانت السلطات السورية تشك بأن حركة القوميين العرب تآمرت للقيام بانقلاب مع شخصيات سورية معارضة يقودها جمال الأتاسي الموالي لعبد الناصر.
يزيد الصايغ: الكفاح المسلح ...، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٤.

(١) محمد الشيخ: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، أصالة وتاريخ (د. ت)، ص٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠..

تعرض حبش لنزيف دماغي حاد، في العام ١٩٨٠م، لكنه استطاع بإرادته الصلبة أن يتغلب على المرض، واستمر على رأس عمله يمارس مهماته كأمين عام للجبهة الشعبية، وفي عام ١٩٨٢م شنت إسرائيل الحرب على المقاومة الفلسطينية واجتاحت لبنان، وحاصرت بيروت، مما أدى إلى رحيل المقاومة عن المدينة، وتوجهت القيادة الفلسطينية المتمثلة بياسر عرفات إلى تونس، أما الدكتور جورج حبش فقد اختار دمشق مقرا للجبهة الشعبية، وذلك لإيمانه العميق باستمرار النضال من إحدى بلدان الطوق (الجوار) مهما كانت الصعوبات[1].

وعاش حبش في سرية تامة، ولا يعرف تحركاته إلاّ عدد قليل جدا من أنصاره، وهو يختلف من هذه الناحية عن غيره من زعماء المقاومة، الذين يمكن اقتفاء أثرهم بسهولة ما بين بيروت، ودمشق، والقاهرة، وضاعف حبش سريته بعدما تعرض رفيقه وديع حداد لمحاولة اغتيال إسرائيلية. وفي صيف ١٩٧٣م أجبر الإسرائيليون طائرة لبنانية على الهبوط في اللد معتقدين أن حبش على متنها، لكنه غير خطة سفره في اللحظة الأخيرة. وتقول أدبيات الجبهة الشعبية إن النظام الأردني كان يريد تصفية حبش، وأنه عرض الأموال على كل من يستطيع تقديم معلومات عنه في الأراضي الأردنية، وعندما غادر حبش الأردن دبرت الاستخبارات الأردنية عدة محاولات لاغتياله[2].

وتعرض الحكيم لمحاولة اختطاف عام ١٩٨٦م عندما أقدمت إسرائيل على خطف الطائرة الليبية الخاصة التي كانت تقله من دمشق إلى ليبيا، وكان من المفترض أن يعود على الطائرة نفسها لكنه أجل السفر في اللحظات الأخيرة فنجا

(١) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٢) الريس النحاس: مرجع سبق ذكره، ص٢٣٥.

بأعجوبة[1].

وقد اندلعت الانتفاضة الأولى في الأراضي المحتلة، عام ١٩٨٧م، مما جعل حبش يجند كل طاقاته لدعمها ومساندتها، وكان له الدور البارز في إدارتها، وفي عام ١٩٨٨م عقد المجلس الوطني دورته التاسعة عشرة في الجزائر، والذي نتج عنه إعلان «وثيقة الاستقلال» لكن حرب الخليج الثانية وما نتج عنها من انقسام الصف العربي، وضرب العراق، وحصاره، هيأت الظروف المناسبة لطرح مبادرات التسوية السياسية، فعاد حبش إلى عمان عام ١٩٩٠م بعد غياب عشرين عاما للمشاركة في المؤتمر الشعبي لمسانده العراق أثناء حرب الخليج الأولى، وبدأت الاتصالات السرية بين القيادة الفلسطينية والإسرائيليين بإشراف ورعاية أمريكية فعقد مؤتمر مدريد ١٩٩١م وانتهى إلى اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ وقد عارض حبش بشدة ذلك الاتفاق الذى أدى إلى إلغاء «الميثاق الوطني الفلسطيني» في مرحلة لاحقة، إيماناً منه أن هذه الاتفاقيات لم تلب الحد الأدنى من طموحات الشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة.

وفي عام ١٩٩٢م توجه حبش إلى فرنسا للعلاج بموافقة فرنسا، لكن سرعان ما تحولت زيارة العلاج إلى قضية سياسية كبيرة، فقد تم احتجازه من قبل القوات الخاصة لمكافحة الإرهاب (DST) تحت ضغط اللوبي الصهيوني، حيث احتشد الآلاف من اليهود في ساحة المستشفى، وطلبت إسرائيل من فرنسا تسليمه لها، بينما أرادت الحكومة الفرنسية تحويله للقضاء بتهمة الإرهاب. ويذكر حبش أن القاضي الفرنسي (بروغيير) جاء بنفسه في اليوم الرابع إلى المستشفى للإشراف على التحقيق معه لولا الموقف الجريء والشجاع الذي اتخذته زوجته هيلدا، فقد استطاعت أن

(١) أبو علي مصطفى: بلا حدود...، مرجع سبق ذكره.

تحافظ على رباطة جأش منقطعة النظير، وأن تتصدى للهجمة الشرسة التي قامت بها القوات الخاصة، والتي كان على رأسها القاضي بروغيير[1].

بقيت الجبهة الشعبية تحت قيادة أمينها العام جورج حبش، إلا أنه اتخذ قراراً بعدم ترشيح نفسه للأمانة العامة في افتتاح المؤتمر السادس للجبهة الشعبية في دمشق عام ٢٠٠٠م، وبين حبش أن هناك سببين يقفان وراء قراره الذي اتخذه، والذي اعتبره تاريخياً:

السبب الأول: رغبة سابقة لديه تبلورت في أواخر الثمانينات، بتقديم مثل نموذجي للآخرين، وأن الإنسان المناضل والقائد يستطيع أن يستمر في العمل والعطاء، حتى بدون مواقع قيادية.

السبب الثاني: إعطاء مثل نقيض للحالة العربية والفلسطينية التي تتجسد في تثبيت المسؤولين بمواقعهم مهما طال بهم العمر[2].

ويرجح الباحث أن عدم ترشيح جورج حبش من الأمانة العامة للجبهة تعود إلى عدم رضاه عن بعض المواقف التي اتخذتها الهيئات القيادية للجبهة آنذاك خاصة وأن الجبهة الشعبية غيرت من موقفها تجاه التعامل مع الواقع الجديد في ظل اتفاقيات أوسلو، ولقاء أبو علي مصطفى مع ياسر عرفات في القاهرة في آب/ أغسطس ٢٠٠١م، وقبوله بالعودة إلى أراضي السلطة تحت مظلة اتفاقية أوسلو، والتي اعتبرها حبش بمثابة الثمرة الفاسدة في النضال الوطني الفلسطيني. ويشير إلى ذلك ما أكده جورج حبش في معظم تصريحاته على ضرورة تصعيد الكفاح المسلح، وأنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا بزوال إسرائيل.

(١) الجبهة الشعبية : جورج حبش، مرجع سبق ذكره، ص٤٣.

(٢) أبو علي مصطفى: برنامج بلا حدود، مرجع سبق ذكره.

وديع حداد: «أبو هاني»:

ولد وديع حداد في مدينة صفد عام ١٩٢٧م، وهو ابن أسرة فلسطينية مسيحية من الطائفة الأرثوذكسية من الطبقة الوسطى[١]. وكان أخواله من كبار ملاك الأراضي في المنطقة الواقعة بين الحولة وبحيرة طبريا[٢]. أما والده فكان يعمل مدرسا للغة العربية في إحدى المدارس الثانوية، وبحكم وجود والده في مدينة حيفا فقد تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في هذه المدينة، وقد تميز حداد بذكائه المتقد ونشاطه المميز[٣].

ونتيجة للنكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨م هاجر حداد مع عائلته إلى مدينة بيروت، حيث استقر بهم المقام هناك، وفي هذه الفترة التحق بمقاعد الدراسة في الجامعة الأمريكية ليدرس الطب، إلى جانب مباشرته نشاطاته السياسية في الجامعة، حيث التقى بجورج حبش وقرر التعاون معه[٤]. وذلك عبر انخراطه في جمعية العروة الوثقى، وتوليه منصباً قيادياً في هذه الجمعية[٥]. ليشكل مع حبش ومجموعة من رفاقه مجموعة سرية عرفت بـ (كتائب الفداء العربي) حيث اهتدت تلك المجموعة مبكراً لمسألة العنف الثوري والقيام بعمليات ضد الأهداف الاستعمارية، وفي مظاهرة ١٩٥١م في حرم الجامعة الأمريكية ضد مشاريع الدفاع المشترك المطروحة آنذاك كانت مشاركة وديع، وحدث الاشتباك فأصيب وديع

(١) الريس، النحاس: ،مرجع سبق ذكره، ص٢٣٦، وانظر أيضا يزيد الصايغ: الكفاح المسلح، مرجع سبق ذكره، ص١٣٤.

(٢) باروت: مرجع سبق ذكره، ص٣٠٣.

(٣) الجبهة الشعبية: الرفيق وديع حداد، مرجع سبق ذكره، ص١.

(٤) الريس والنحاس: مرجع سبق ذكره، ص٢٣٦.

(٥) سجل الخالدين: الرفيق وديع حداد،الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص١.

حداد في رأسه[1].

وعقب تخرجه من كلية الطب من الجامعة الأمريكية، توزعت مجموعة بيروت، والتي شكلت لاحقا القيادة الأولى لحركة القوميين العرب، فالدكتور أحمد الخطيب عاد إلى الكويت وهاني الهندي إلى سوريا، والدكتور وديع حداد إلى الأردن، حيث عمل في العيادة التي افتتحها الدكتور حبش. ومن الطبيعي أن يؤثر وضع تلك العيادة على دخلها، فلم تستطع تغطية نفقاتها، ولاسيما أن الطبيبين كانا يخططان لمهمات نضالية واضحة، مما جعل حداد يبحث عن عمل في إحدى عيادات وكالة الغوث الدولية «الأونروا» - وفي مخيم الكرامة باشر عمله الجديد، وفي تلك الفترة أنشأ مع الدكتور بشارة الدهان وعدد من الوطنيين اللبنانيين والفلسطينيين جمعية «كل مواطن خفير» لمكافحة الصهيونية - ورشح وديع حداد لمهمة تأسيس فرع لها في الأردن، فكان لوديع حداد نضاله البارز، مما دفع السلطات الأردنية إلى اعتقاله، وبعد مرور شهر على اعتقاله قدمته للمحاكمة، وقد تمت تبرئته، ولم تمض فترة طويلة على خروجه من السجن حتى أعيد اعتقاله عام ١٩٥٧،م مع عدد من قادة «حركة القوميين العرب» بتهمة محاولة قلب نظام الحكم الملكي في الأردن[2]. إبان الثورة الشعبية ضد «حلف بغداد» «ومشروع أيزنهاور» حيث كان له دوره الفاعل في قيادة هذه الثورة[3]. إلا أنه تمكن عام ١٩٦١م من الإفلات واللجوء إلى سوريا[4].

(١) أحمد أبو مطر: التجربة والتقييم، الهدف(دمشق) العدد ٩٠٥، الأحد ٢٧ آذار / مارس ١٩٨٨، ٤٠.

(٢) أبو ماهر اليماني: بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لاستشهاد القائد المناضل وديع حداد، شؤون فلسطينيه (نيقوسيا)، العدد ٩٥٣، ٢نيسان ١٩٨٩، ص١٧.

(٣) يوسف حجازي: أيام فلسطينية في القرن العشرين، سلسلة دراسات، ج٣، المركز القومي للدراسات والتوثيق، غزة، ط١، ١٩٩٩، ص٥١.

(٤) باروت: مرجع سبق ذكره، ص٣٠٣.

وفي عام ١٩٦٦م وبعد ظهور حركة فتح على الساحة الفلسطينية، قررت حركة القوميين العرب إنشاء فرع فلسطيني، فألقت مسؤولية هذا الفرع على عاتق حبش، وحداد، واليماني، وعبد الكريم حمد، وأوكل إليهم أمر الإعداد لاشتراك الحركة في الكفاح المسلح ضد إسرائيل[١]. وكان وديع حداد متفائلاً في كل الظروف، حيث كان دائم الحركة لا يعرف الملل والتشاؤم[٢].

وعقب هزيمة حزيران/ يوليو ١٩٦٧ كان وديع أحد القادة المؤسسين للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعضو مكتبها السياسي، حيث اختار حداد طريق مطاردة العدو، ورفع شعاراً (وراء العدو في كل مكان)[٣]. وقد أسندت له مهمتان رئيسيتان هما: المالية، والعمل العسكري الخارجي[٤].

بدأ وديع ممارسة العمل العسكرى بصورة فعلية فى تموز/ يوليو ١٩٦٨، لما عرف باسم العمليات العسكرية خارج فلسطين، وذلك ومع تصاعد العمل العسكري ضد العدو الصهيوني في أعقاب النكسة، انطلاقاً من الأغوار الأردنية، ومن وسط الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتمثلت تلك الممارسة الفعلية بخطف طائرة تابعة لشركة «العال» الإسرائيلية، حيث حطت في الجزائر. وتلاحق العمل العسكري الخارجي ضد الأهداف الصهيونية والامبريالية في مجالات وعواصم متعددة. وفي عام ١٩٧٢م عقد المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية، واستناداً إلى تطورات فكرية وسياسية راجعت الجبهة موقفها من العمليات الخارجية، واتخذت

(١) الريس و النحاس: مرجع سبق ذكره، ص٢٣٧.

(٢) أسامة النقيب: كان وديع يبحث عن طفولة اغتصبوها فسموه إرهابياً، الهدف (دمشق)العدد ٨١١، ٣١ آذار، ١٩٨٦، ص٢٤.

(٣) المرجع نفسه، ص١٩.

(٤) سجل الخالدين: الرفيق وديع حداد، مرجع سبق ذكره، ص٢

قراراً بوقف عمليات الطائرات نهائيا، ورغم ذلك استمر وديع في تطبيق شعاره (وراء العدو في كل مكان). ومن عام ١٩٧٢م وحتى وفاته عام ١٩٧٨م كانت عمليتا (عنتيبي واسطانبول) أشهر العمليات التي خطط لها وتم تنفيذها[١].

وتشير بعض مصادر الجبهة الشعبية إلى أنه تم فصل وديع حداد من عضويتها، عندما اختلف مع رفاقه على مواصلة نهجه، حيث ارتأت قيادة الجبهة أن الهدف من العمليات الخارجية قد تحقق فعلاً، وأن القضية الفلسطينية أصبحت مفهومة وواضحة أمام الرأي العالمي، وأن استمرار هذا النوع من العمليات سوف يلحق الضرر بالقضية الفلسطينية، ولم يعد مناسباً الاستمرار في مثل هذه العمليات، ويجب الالتفات وتركيز الجهد للعمل الجماهيري وقوى الشعب المسلحة في الداخل والخارج عبر المجموعات السرية، لذا قررت الجبهة وقف العمليات الخارجية، إلاّ أن وديع حداد رفض تلك الرؤية، وعبر عن نيته بعدم الالتزام بقرارات الجبهة[٢].

وبذلك لم يلتزم بقرارات اللجنة المركزية[٣]، فاتخذت الجبهة إجراءات حزبية

---

(١) أحمد أبو مطر: مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

(٢) جميل المجدلاوي: مقابلة شخصية، في مكتبه بغزة، ١٦ / ٨ / ٢٠٠٥م وجميل المجدلاوى ، من مواليد قرية سمسم (المحتلة) ،أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية فى مخيم جباليا، أما الثانوية العامة فحصل عليها من مدرسة بيافا الثانوية بغزة، التحق بجامعة القاهرة ، عام ١٩٦٤، وتخرج منها (قسم محاسبة) عام ١٩٦٨، التحق بحركة القوميين العرب، عام ١٩٦٢، وتواصل مع« الجبهة الشعبية» منذ تأسيسها عام ١٩٦٧، وتدرج فى المراتب التنظيمية إلى أن وصل إلى عضوية المكتب السياسي ، عام ١٩٨٨ ، وانتخب عام ٢٠٠٦ عضواً فى المجلس التشريعي، عن قائمة أبو على مصطفى (الجبهة الشعبية) ، وهو مسئول الجبهة الشعبية فى قطاع غزة .

(٣) محمد العجرمي: مقابلة شخصية، ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٦م. فى منزله مخيم جباليا – غزة. وهو من مواليد بئر السبع ١٩/ ١٢/ ١٩٤٦م، التحق بجامعة بيروت العربية عام ١٩٧٢م، التحق بحركة القوميين العرب ، عام ١٩٦٢م ثم انضم للجبهة عند تأسيسها، عام ١٩٦٧م، وتدرج في المراتب التنظيمية بالجبهة ، حتى وصل إلى عضو لجنة مركزية ، من عام ١٩٧٢ – ١٩٩٣م .

بفصله. ورغم أن قرار فصله جاء من قيادة الجبهة ، فإنه كان أقرب إلى التجميد؛ ذلك لأن الأعضاء القياديين- بحسب نظام الجبهة- إذا أخذ بحق أحدهم قرار بالفصل تبقى عضويته مجمدة حتى ينعقد المؤتمر الوطني التالي، ولهذا ظل القرار قائماً إلى أن أعيد الاعتبار لحداد لاحقاً في المؤتمر الوطني الخامس عام ١٩٩٣(١).

واستغل حداد في هذه الأثناء اتصالاته الخارجية الخاصة بما فيها الاستخبارات العراقية، ثم بعد ذلك الجزائر، وليبيا، واليمن الجنوبي لتأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين «العمليات الدولية» لكنه لم يهمل الجبهة الشعبية كلياً، إذ أبقى على علاقاته الوثيقة بصديقه القديم جورج حبش (٢).

وقد عمل وديع على تكوين مجموعات فدائية في العالم، تسعى من خلال الصدامات العنيفة للفت انتباه الرأي العام العالمي إلى مأساة الشعب الفلسطيني، فصوره الإعلام الأمريكي على أنه الإرهابي رقم (١) في العالم كله(٣)، مما جعله هدفاً ثابتاً للموساد، إلا أنه كان هدفاً صعباً(٤).ومهما تكن وجهات النظر بخصوص شكل الكفاح المسلح، فإن الخط العسكري الذي قاده وديع حداد كان في حينه ضرورة من ضرورات إشهار القضية الفلسطينية، وتعريف العالم بقضية هذا الشعب ومعاناته جراء الاحتلال الصهيوني الغاشم الذى شرده من أرضه ووطنه، ورمى به في شتات الأرض، ومخيمات اللجوء المختلفة.

وكانت نهاية حياة وديع في العراق بتاريخ ٢٨ آذار / مارس ١٩٧٨م، بعد أن

(١) جميل المجدلاوي: مقابلة شخصية، غزة، ١٦ / ٨ / ٢٠٠٥م.

(٢) الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٥.

(٣) النقيب، مرجع سبق ذكره، ص ١٥...

(٤) باروت: حركة القوميين العرب، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٤.

عانى من مرض مجهول، قال البعض إنه مرض عضال، وظل هذا الغموض قائماً حتى كشف صحفي إسرائيلي يدعى أهارون كلاين، أن الموساد الإسرائيلي اعترف باغتيال حداد، وجاءت هذه التفاصيل في كتابه بعنوان «حساب مفتوح» الصادر في ٤أيار/ مايو ٢٠٠٦، وأن وديع وقع ضحية أول عملية قتل بيولوجية نفذها الموساد، حيث تم دس السم في ألواح من الشيكولاته البلجيكية أرسلوها إلى حداد بواسطة أحد عملائهم الذى كان يتردد على العراق، فقد علم الموساد أن وديع كان شغوفا بالشوكلاته البلجيكية التي يصعب الحصول عليها في بغداد[1].

وذكر الصحفي في كتابه أن إسرائيل قررت تصفية وديع حداد في أعقاب تدبيره اختطاف طائرة إيرفرانس إلى عنتيبي في أوغندا في عام ١٩٧٦م[2]. إضافة إلى نشاطاته الفدائية المتعددة وعلاقاته مع منظمات إرهابية ودولية كان قد دعاها للتدريب في لبنان، وكانت إحدى نتائج ذلك عملية فدائية في مطار اللد عام ١٩٧٢م نفذها ثلاثة رفاق يابانيين من الجيش الأحمر الياباني؛ منهم كوزواوكا موتو[3].

لذا يمكن القول إن الموساد استخدام في اغتيالاته وسائل مختلفة ، منها البيولوجية، والرمي بالرصاص، والتصفية الجسدية، والرسائل الملغومة، والتسميم بالغازات الحيوية، وأساليب أخرى[*].

(١) موشيه رومنين: يديعوت أحرونوت، الأحد ٤ / مايو / ٢٠٠٦م.

(٢) المرجع نفسه، ص١١.

(٣) القدس الزرقاء ٥ / ٥ / ٢٠٠٦م .

(*) محاولة اغتيال زعيم «حركة حماس» خالد مشعل في عمان ، في أيلول / سبتمبر (١٩٩٧) بسم غامض لا يترك علامات ، وقبله كان وائل زعيتر مفكر فلسطيني، وعاطف بسيسو ، في عام ١٩٩٢م ، عندما أطلقوا عليه النار ، في باريس، ومحمد أبو دية ، عام ١٩٧٣م ، وناجي العلي ، في لندن ، ١٩٨٧م، وباسل الكبيسي، ١٩٧٣م. واعتراف إسرائيل باغتيال وديع حداد بالشوكولاته المسممة يعزز فرضية اغتيال الرئيس الراحل ياسر عرفات وتسميمه.

وقد كان وديع حداد رقماً صعباً في مسيرة النضال الفلسطيني، وعلى الرغم من قرار فصله إلا أنه عند استشهاده قام جورج حبش بنعي رفيق دربه، وتصرفت الجبهة وكأن وديع حداد مازال عضواً في قيادتها ومكتبها السياسي.

غسان كنفاني:

ولد الشهيد غسان في التاسع من نيسان عام ١٩٣٦م في مدينة عكا بفلسطين[١]. وقد انحدر من عائلة من الطبقة المتوسطة، وكان والده محامياً، درس الابتدائية في مدرسة فرنسية تبشيرية، ولكنه انتقل منها بسبب بدء المعارك عام ١٩٤٧م إلى مدرسة الفرير في مدينة يافا، حيث تعلم الفرنسية. وفي عام ١٩٤٨م لجأ مع أسرته لبلدة الغازية قرب صيدا في لبنان، ثم انتقلت الأسرة للعيش في حلب، ثم الزبداني، و بعدها دمشق، حيث استقر بهم الحال في منزل قديم من منازل دمشق، ثم عمل في إحدى المدارس الابتدائية بدمشق، وأكمل دراسته الثانوية في دمشق عام ١٩٥٢م[٢].

التحق غسان كنفاني، بجامعة دمشق، في كلية الآداب، تخصص الأدب العربي، وخلال دراسته الجامعية أسند إليه تنظيم جناح فلسطين في معرض دمشق الدولي، وكان معظم ما عرض فيه كان من جهده الشخصي، وذلك بالإضافة إلى معارض الرسم الأخرى التي أشرف عليها[٣].

قابل غسان الدكتور حبش صدفة في دمشق وفي عام ١٩٥٣م، وانخرط معه في

(١) غسان كنفاني: جبهة العمل الطلابي، الهدف الطلابي، العدد الرابع، عدد خاص، تموز ٢٠٠٥، ص٢.

(٢) غسان كنفاني: حديث نشر معه، أجراه كاتب سويسري متخصص في أدب غسان، نشرته شؤون فلسطينية(بيروت)، العدد ٣٥، بيروت، تموز / يوليو ١٩٧٤، ص١٣٦.

(٣) www.pfip.net

صفوف «حركة القوميين العرب» الأمر الذي أدى إلى طرده من الجامعة بعد إنهاء ثلاث سنوات من الدراسة[1].

سافر بعد ذلك الكويت في أواخر عام ١٩٥٥م، والتحق بالتدريب في دار المعارف الكويتية، حيث مكث طوال خمس سنوات وهناك باشر غسان القراءة والتأليف، وكتب أيضاً أولى قصصه القصيرة «القميص المسروق» والتي نال بها الجائزة الأولى في مسابقة أدبية، وبدأ يحرر في إحدى صحف الكويت، ويكتب تعليقاً سياسياً بتوقيع «أبو العز»[2]. هذا إلى جانب ممارسة نشاطاته السياسية ضمن حركة القوميين العرب، فرع الكويت. وفي عام ١٩٦٠م طلبت قيادة حركة القوميين العرب من كنفاني الانتقال إلى بيروت، والعمل في مجلة «الحرية» وهي الصحيفة الناطقة بلسان حركة القوميين العرب آنذاك[3].

وعمل غسان عضواً في أسرة تحرير مجلة الرأي التابعة للحركة في دمشق، ورئيس تحرير جريدة المحرر في بيروت، ورئيس تحرير «فلسطين في المحرر» ورئيس تحرير ملحق « الأنوار» في بيروت[4].

لفتت نشاطات كنفاني ومقالاته الأنظار، إليه كصحفي، ومفكر، وعامل جاد، ونشط للقضية الفلسطينية، فكان مرجعاً لكثير من المهتمين، ففي عام ١٩٦١م عقد في يوغسلافيا مؤتمر طلابي، اشتركت فيه فلسطين، وكذلك كان هناك وفد دنماركي، وكان من بين أعضاء الوفد فتاة كانت تدعى (آني) متخصصة في تدريب الأطفال،

(١) كنفاني: حديث نشر لأول مرة، مرجع سبق ذكره، ص١٣٦.
(٢) كنفاني: جبهة العمل الطلابي، مرجع سبق ذكره، ص٧٥.
(٣) كنفاني: حديث نشر لأول مرة، مرجع سبق ذكره، ص١٣٦.
(٤) كنفاني: جبهة العمل الطلابي، مرجع سبق ذكره، ص٢.

قابلت هذه الفتاة الوفد الفلسطيني، ولأول مرة سمعت عن القضية الفلسطينية فجاءت إلى سوريا ولبنان، حينها تعرفت على كنفاني، فتأثرت بحماسه للقضية الفلسطينية، وكذلك بالظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، فأقنعها بالبقاء في لبنان، وبدأت تعمل في روضة أطفال، وبعد شهرين من اللقاء عرض عليها الزواج، فوافقت على عرضه، وتم زواجهما في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١م[1]. أصيب غسان بمرض السكر، وكذلك النقرس، ورغم ذلك لم يؤثر على حيويته وقدرته على العمل[2].

وفي عام ١٩٦٧م كان غسان من المؤسسين للجبهة، مع العلم أن الجبهة الشعبية لم تكن منظمة جديدة، فهي تشكل أساساً الفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب، والتي كان غسان عضواً قياديا فيها.

وعندما تأسست الجبهة أصبح غسان كنفاني عضواً في المكتب السياسي، ورئيسا للجنة المركزية للإعلام في الجبهة، وقد ترأس تحرير جريدة ناطقة باسم الجبهة تحمل اسم الهدف، وأصبح فيما بعد ناطقاً رسمياً للجبهة. صحيح أن غسان كنفاني لم يكن قائداً عسكرياً، أو مخططا لعمليات فدائية، لكنه كان يناضل على جبهات أخرى، جبهة الفكر، والكلمة، والوعي السياسي والمعرفة، إلى جانب كونه أديباً وناقداً، وإعلامياً بارزاً، ومن خلال منصبه كناطق إعلامي للجبهة، كان يدافع عن ظاهرة الكفاح المسلح وبوصفه حقاً مشروعاً في مقاومة الاحتلال الصهيوني.

وكانت لديه قدرة فائقة على توضيح الأمور بالنسبة للرأي العام العالمي، ومن مؤلفات الأديب غسان كنفاني: موت سرير رقم ١٢، أرض البرتقال الحزين، رجال في

(١) المرجع نفسه.

(٢) كنفاني: حديث نشر معه، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

الشمس، ما تبقى لكم، أم أسعد، عائد إلى حيفا، عالم ليس لنا، عن الرجال والبنادق، الرجل والصخر، العاشقة، برقوق نيسان، الأعمى والأطرش، الشيء الآخر.

كما قدم بحوثاً أدبية منها: أدب المقاومة، الأدب العربي المقاوم في ظل الاحتلال، وفي الأدب الصهيوني، وثورة ١٩٣٦ – ١٩٣٩م، كما كتب العديد من المؤلفات السياسية منها: المقاومة الفلسطينية ومعضلاتها، ومجموعة كبيرة من الدراسات والمقالات التي تعالج جوانب معينة من تاريخ النضال الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية (سياسياً، وفكرياً، وتنظيمياً) كما كان فنانا مرهف الحس، صمم العديد من ملصقات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كما رسم العديد من اللوحات، وكتب العديد من المقالات بتوقيع اسمه، ومقالات أخرى: بأسماء رمزية مثل فارس، وأبو العز.

كان غسان كنفاني قائداً مميزاً من الناحية الثقافية، والسياسية، والإعلامية، مما جعله في موقع الاستهداف من أجهزة الموساد الإسرائيلي، فتم اغتياله على يد عملاء الموساد يوم السبت، الثامن من تموز/ يوليو ١٩٧٢م. بعد أن انفجرت عبوة ناسفة وضعت تحت منزله في بيروت، مما أدى إلى استشهاده مع الطفلة لميس ابنة شقيقته، مخلفاً وراءه زوجته آني وولديه فايز وليلى.

ورغم الفترة القصيرة التي عاشها كنفاني، فإنه ترك إرثاً أدبياً يحمل قصة ومأساة شعب بأكمله، حيث أصبح لأعماله الأدبية قراء كثيرون في جميع الأقطار العربية، وترجم عدد من كتبه إلى اللغات الأخرى، وأصبحت الشخصيات في رواياته وقصصه تعبيرات رمزية عن مأساة الشعب الفلسطيني ونضاله[1].

(١) فضل النقيب، غسان كنفاني أسئلة وأجوبة، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت)، مؤسسة الدارسات الفلسطينية، العدد ٣٩، ١٩٩٩، ص٢٠.

مصطفى على العلي الزبري (أبو علي مصطفى) :

اسمه مصطفى الزبري ولقبه « أبو علي مصطفى» من مواليد عرابة قضاء جنين، ولد في عام ١٩٣٨م[١]. كان والد مصطفى واحداً من المجاهدين الذين نظمهم في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين الشيخ عز الدين القسام، وقد تشرب الوالد الأريج الثوري الذي عم البلاد، وذاق مرارة سجون الانتداب البريطاني، وعندما حلت نكبة ١٩٤٨م وقعت عرابة قرب خط الهدنة، فعمل أبو علي مع أبيه في الزراعة ليسهم في إعالة الأسرة[٢].

درس أبو علي مصطفى الابتدائية في بلدة عرابة[٣]. ثم انتقل مع بعض أفراد أسرته إلى عمان، وذلك في العام ١٩٥٠م، أي بعد أن أصبحت الضفة الفلسطينية جزءاً من المملكة الأردنية، وأصبح اسمها الضفة الغربية[٤].

وفى عمان أتم المرحلة الثانوية فقط[٥]. واضطر إلى العمل في مهن شتى، كانت كلها قاسية، مكابداً قسوة النكبة، وقرارات اللجوء، مما دفعه إلى التوقف عن متابعة التعليم، حتى يتيح الفرصة لإخوانه الآخرين كي يواصلوا تعليمهم[٦].

التحق أبو علي مصطفى في عام ١٩٥٥م بصفوف حركة القوميين العرب في

---

(١) مصطفى الزبري: السيرة الذاتية، كتبها بنفسه، ٢٨ / ٢ / ٢٠٠٠م. صقر ابو فخر:كلمات مضيئة، الجبهة الشعبية، غزة،٢٠٠٣انظر الملحق رقم (٣).

(٢) فيصل حوراني: سيرة سياسي اغتالوه، الهدف (دمشق)العدد ١٣٢٣ / ٤ فلسطين ، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١، ص٨٧.

(٣) أبو فخر: كلمات مضيئة،مرجع سبق ذكره ،ص٦٩.

(٤) حوراني، سيرة سياسى، مرجع سبق ذكره، ص٩٤.

(٥) أبو فخر، كلمات مضيئة، مرجع سبق ذكره، ص٦٩.

(٦) حوراني: سيرة سياسي، مرجع سبق ذكره، ص٩٠.

الأردن، وشارك في النشاطات النضالية والجماهيرية بين عام ١٩٥٥ – ١٩٥٧م، ضد سياسية الأحلاف، ومن أجل « إلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية» والنضال لتعريب قيادة الجيش الأردني، فاعتقلته السلطات الأردنية لمدة ثلاثة أشهر في نيسان / إبريل ١٩٥٧م، بعد إعلان الأحكام العرفية، وإقالة حكومة سليمان النابلسي.

ولم تمضِ فترة طويلة عليه خارج السجن حتى أعيد اعتقاله في تموز/ يوليو ١٩٥٧م، وحكم عليه أمام المحاكم الأردنية العسكرية لمدة خمس سنوات بتهمة مناوءة سياسة النظام الأردني والتحريض وإصدار المنشورات السرية والانتساب لحركة ثورية ممنوعة (حركة القوميين العرب)[١].

وخلال اعتقاله في معتقل الجفر الصحراوي الأردني اغتنم الفرصة لقراءة الكتب السياسية والفكرية، وكانت تلك السنوات – على ما شهد به عارفوه – هي السنوات التي تصلب بها عوده، واتسعت معرفته، وتبلورت شخصيته القيادية، وتأسس استعداده الدائم للتضحية من أجل مبادئه[٢].

عاد أبو علي في عام ١٩٦٥م بعد قضاء فترة الاعتقال لممارسة نشاطه السياسي في صفوف الحركة، فالتحق بإحدى الدورات العسكرية في إنشاص في مصر، وفي السنة نفسها كلفه إقليم فلسطين في حركة القوميين العرب أن يباشر التحضير لانطلاقة العمل العسكري[٣]. فشارك في تأسيس منظمة شباب الثأر، وتشكيل ألوية العمل الفدائي، وتولى مسئولية منطقة شمال الضفة[٤]، وعلى خلفية نشاطه السري اعتقلته

(١) مصطفى الزبري: السيرة الذاتية، مصدر سبق ذكره.
(٢) حوراني: سيرة سياسي، مرجع سبق ذكره، ص٩٠.
(٣) أبو فخر، كلمات مضيئة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.
(٤) مصطفى الزبري: السيرة الذاتية، مصدر سبق ذكره.

السلطات الأردنية عام ١٩٦٦م، ولم تمتد فترة اعتقاله إلا ثلاثة أشهر[١]. حيث أطلق سراحه عشية حرب ١٩٦٧م[٢].

تم إرسال أبو علي إلى الضفة الغربية ليتولى، قيادة التنظيم السري، الذي كان قد أعيد إنشاؤه[٣]، وفى أعقاب حرب حزيران أشرف على إعداد خلايا المقاومة المسلحة، والبدء بتأسيس مرحلة الكفاح المسلح[٤]. والتجهيز لتأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[٥].

تولى أبو على مصطفى مسئولية العمل العسكري في الجبهة من عام (١٩٦٧-١٩٧١م)، وكان المسئول العسكري للجبهة في الأردن في معركتي أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠م وتموز/ يوليو ١٩٧١م، بعدها توجه إلى لبنان إثر انتهاء ظاهرة المقاومة المسلحة في الأردن. وفى أعقاب حرب تموز / يوليو١٩٧١م انتخب نائباً للأمين العام للجبهة الشعبية في مؤتمر الجبهة الثالث في آذار/ مارس ١٩٧٢م، وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٩٩م. ومنذ عام ١٩٩٠م تولى معظم مسئوليات الأمين العام للجبهة الشعبية الدكتور جورج حبش، وذلك بسبب مرض الأخير[٦]. وفي

(١) حوراني: سيرة سياسي، مرجع سبق ذكره، ص٩١. وانظر أيضا ، مصطفى الزبري: السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

(٢) أبو على مصطفى« بلا حدود »، مرجع سبق ذكره .

(٣) يزيد صايغ، رفض الهزيمة ...، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤.

(٤) لقد انهمك أبو على مصطفى فى الحوار مع الأطراف المشاركة فى ائتلاف الجبهة، وانتهى الأمر إلى أن ضمت الجبهة الشعبية عند صدور البيان الأول فى آخر ١٩٦٧، التنظيم الفلسطيني « منظمة شباب الثأر» ، « وأبطال العودة » ، « وجبهة التحرير الفلسطينية » .
أنظر فيصل حوراني: سيرة سياسي مرجع سبق ذكره، ص٩٢.

(٥) مصطفى الزبري: السيرة الذاتية، مرجع سبق ذكره.

(٦) حوراني: سيرة سياسي، مرجع سبق ذكره، ص٩٣.

مؤتمر الجبهة السادس ٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٠م انتخب أبو علي مصطفى أميناً عاماً للجبهة[١].

ظل أبو علي عضواً في المجلس الوطني منذ عام ١٩٦٨م، وعضواً في اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، منذ تأسيسها عام ١٩٧٠م، وعضواً في المجلس المركزي الفلسطيني منذ تأسيسه عام ١٩٧٣م، وفي عام ١٩٨٧م انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وبقي فيها حتى عام ١٩٩١م[٢].

وفي عام ١٩٩٩م عاد أبو علي مصطفى إلى أرض الوطن، واستشهد بتاريخ ٢٧/ ٨/ ٢٠٠١م في مكتبه برام الله إثر عملية اغتيال بواسطة صواريخ أطلقتها طائرات العدو الإسرائيلي لتصفية هذا القائد الوطني، بعد نضال دام لأكثر من نصف قرن.

◆◆◆

(١) أبو فخر: كلمات مضيئة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٩.

(٢) حوراني: الفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص٩٣.

الانشقاقات التي تعرضت لها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

١- خروج احمد جبريل (الجبهة الشعبية – القيادة العامة)

عانت الجبهة من عدد من الانشقاقات، بسبب طبيعة تكوينها الجبهوي، الذي ضم عدداً من المنظمات الفلسطينية[١]، وكان وزن «حركة القوميين العرب» هو الحاسم ضمن الجبهة، وقد احتفظ كل تنظيم من تنظيمات الجبهة بشخصيته الخاصة في إطار الجبهة لفترة قصيرة من الوقت[٢]. فقد ثبت أن الوحدة التي أعلنت في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧م كانت وحدة اسمية، إذ أصر كل تنظيم بشدة على الاحتفاظ بعضويته الأصلية، ومنطلقاته السياسية، وقواته الفدائية، بصورة منفصلة كما سنبين لاحقاً.

جاء الانشقاق الأول تعبيراً عن رفض الالتزام الايديولوجي والتحول نحو الماركسية اللينينة، حيث انسحب أحمد جبريل، وأحمد زعرور «جبهة التحرير الفلسطينية» من الجبهة في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٨م وشكلا «الجبهة الشعبية القيادة العامة» وفي منتصف العام ١٩٦٩م خرج أحمد زعرور ومجموعته المستقلة عن جبريل، وشكل لاحقاً «منظمة فلسطين العربية»[٣]، وكان سبب الانفصال عائداً إلى الموقف اليساري الذي اتخذته الجبهة الشعبية في مؤتمرها المنعقد في آب / أغسطس ١٩٦٨م[٤]، بينما كان الأمين العام للجبهة الشعبية الدكتور جورج حبش

(١) تيّم، مرجع سبق ذكره، ص٣٥٩.

(٢) خليل: من الماركسية إلى البيريسترويكا: مرجع سبق ذكره، ص٢١.

(٣) Schiff، Zeev & Rothstein، Ibid.، p.109.

(٤) الريس و النحاس: مرجع سبق ذكره، ٧٠.

معتقلاً في سوريا، حيث تمكن الاتجاه اليساري بقيادة نايف حواتمة من عقد المؤتمر[1] وفيه تبنت الجبهة النظرية الماركسية[2].

وقد استطاع الاتجاه اليساري في هذا المؤتمر أن يعرض برامجه التي يصفها بأنها كانت تشكل برنامج الخلاص الوطني، وأن تنتخب لجنة مركزية ثلثاها من العناصر اليسارية، ولكن «اليمين» أمام هذه النتائج التي شكلت لهم هزيمة كبيرة، رفض كلياً هذه النتائج؛ لأنه اعتبر أن المؤتمر لم يتشكل على أساس ديمقراطي؛ لأن الفريق الذي راقب المؤتمر تجاهل غياب الأمين العام للجبهة، بسبب اعتقاله لدى السلطات السورية[3]. كما أصدر المؤتمر بياناً سياسياً تضمن نقدا قاسياً لعبد الناصر وأنظمة البرجوازية الصغيرة، وعندما تسرب مضمون البيان كانت له عدة انعكاسات خطيرة على «الجبهة الشعبية» -حديثة النشأة- فقد استاء عبد الناصر كثيراً من الانتقادات الموجهة إليه حيث قطع فجأة كل المساعدات عن الجبهة[4].

لذلك وقع اختيار قيادة الجبهة (قدامى حركة القوميين العرب) على أحمد جبريل ليكون مبعوثها إلى عبد الناصر، من أجل أن تستأنف مصر مساعدتها إلى التنظيم، وعندما رفض عبد الناصر طلبه[5]. اعتبر جبريل تلك المهمة الدبلوماسية، فرصته

(١) خليل: مرجع سبق ذكره، ص٢٢.

(٢) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٢٦.

(٣) أبو علي مصطفى: حقيقة ما حدث، جريدة الأيام، (رام الله) العدد، ٨٨٦، ١١ / ٦ / ١٩٩٨م، ص١٨.

(٤) كوبان، مرجع سبق ذكره، ص٢٢٦.

(٥) يقول جبريل: انزعجت جدًا عندما اكتشفت أن العلاقة شبه منتهية بين الحركة وعبد الناصر، خاصة بعد أن وزعت الحركة بيانات سياسية في الشوارع، تهاجم عبد الناصر، يضيف أحمد جبريل: إنه تفاجأ بتلك البيانات التي تهاجم عبد الناصر، والنظام السوري، والابتعاد عن الهدف الرئيس، وهو العمل على تحرير فلسطين.
أحمد جبريل، شاهد على العصر، قناة الجزيرة، ٧/ ٨/ ٢٠٠٥م.

الذهبية لتحويل الجبهة الشعبية إلى طريقة تفكيره،[1] عاد جبريل إلى بيروت مصمماً على تغيير سياسة الجبهة الشعبية، والتي كان يأخذ عليها عدة نقاط منها:

- الخلافات الحادة والصراع الفكري داخل حركة القوميين العرب ما بين اتجاهين، الأول قومي، والآخر ماركسي- لينيني.

- موقف عبد الناصر من الحركة[2].

- التسلط والاستئثار الإداري والمالي من قبل القيادة التقليدية المسيطرة على القرار بالجبهة[3].

- استغلال الموارد المالية في الجبهة بطريقة سيئة، يقول أحمد جبريل: إن أغلب التبرعات التي كانت تجمع تصرف على دوائر الجبهة الإعلامية والسياسية، في مقابل تقليص الدعم عن العمل العسكري.

- وصاية حركة القوميين العرب على الجبهة الشعبية ، والتي من المفترض أن تكون جبهة مستقلة[4]. رغم أن الجبهة الشعبية قد أصدرت بياناً تنفي وجود أية علاقة لها بحركة القوميين العرب في أي قطر عربي، وأضاف البيان « إن الجبهة الشعبية غير مسئولة عن البيانات أو التصريحات التي وزعت في بيروت باسمها[5].

لهذه الأسباب آثر أحمد جبريل الانسحاب من الجبهة؛ لأنه أصر على أن يقتصر

---

(١) صموئيل كاتز: **إسرائيل في مواجهة جبريل**، ترجمة (تحسين الحلبي)، بيان النشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٧، ص٣٧.

(٢) أحمد جبريل، شاهد على العصر، قناة «الجزيرة»، ٧/ ٨/ ٢٠٠٥م.

(٣) علي بدوان، اليسار الفلسطيني المسلح، جريدة الأيام(رام الله)، العدد (٩٦٨)، ١/ ٩/ ١٩٩٨، ص٢٣.

(٤) كوبان: مرجع سبق ذكره، ص٢٤٤.

(٥) بيان الجبهة الشعبية ، تنفى وجود أى علاقة لها مع «حركة القوميين العرب» :**الوثائق العربية الفلسطينية لعام ١٩٦٨م**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨م.ص ٢٣٥.

النشاط الفدائي على العمل العسكري، دون الانغماس في المتاهات السياسية المضيعة للوقت[1]، لذلك وجه جبريل تعليماته فى تشرين الأول/ أكتوبر، ١٩٦٨، لفصيلة جبهة التحرير الفلسطينية بالخروج من إطار الجبهة الشعبية.

وبسبب إصراره على العمل العسكري المسلح، وعدم تأجيله لهذا الموضوع، شكل بتنظيمه فصيلاً عسكرياً مسلحاً أطلق عليه بعد مشادات حادة اسم (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة)[2]. حيث دار جدل ومشادات حامية الوطيس على اسم الفصيل الجديد، وذلك لأن البلاغات العسكرية للجبهة كانت توقع باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة، فآثر أحمد جبريل أن يحتفظ بهذا الاسم لتنظيمه الجديد؛ لأنه يعتبر أن معظم من قاموا بالعمليات أثناء الائتلاف كانوا من ضمن صفوف تنظيمه السابق جبهة التحرير الفلسطينية[3].

وعلى الفور أقيمت قواعد هذا الفصل فى مبنى غير مكتمل وسط منطقة الريحان بدمشق، كما افتتح مكتب فرعى له فى بيروت أيضاً[4].

ويبين اختيار اسم «القيادة العامة» مدى تركيز أحمد جبزيل على أولوية العمل العسكري[5]، ولكن الفصيل الجديد لم يستطع المحافظة على وحدته، إذ سرعان ما خرج منه أحد قياداته في أوائل آب / أغسطس ١٩٦٩م وهو أحمد زعرور، مشكلاً فصيلاً جديداً حمل اسم (منظمة فلسطين العربية) حيث رأت هذه المنظمة أن تدخل الدول العربية فى الشئون الفلسطينية هو أمر طبيعي لوجود الفلسطينيين على

(١) الريس، والنحاس: مرجع سبق ذكره، ص٧٠.

(٢) دراغمة: الفلسطينيون والطريق إلى فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص١٥٩.

(٣) أحمد جبريل، شاهد على العصر، قناة «الجزيرة»، ٧/ ٨/ ٢٠٠٥م.

(٤) كاتز : مرجع سبق ذكره، ص٣٧.

(٥) كريشان: مرجع سبق ذكره، ص٨٠

أراضيها ولمجاورتها لفلسطين[1].

وحدث انقسام آخر أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، وبدعم من العراق عام ١٩٧٧م، حيث انشق محمد عباس (أبو العباس)، وهو مسئول عمليات الجبهة الخارجية مع مجموعة من القادة، وشكل (جبهة التحرير الفلسطينية) وهو الاسم الأسبق لتنظيمه قبل الانضمام إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[2].

ونخلص مما سبق أنه مع خروج أحمد جبريل زعيم «جبهة التحرير الفلسطينية» عن الجبهة، مكوناً تنظيماً مستقلاً، وخروج أحمد زعرور ومن معه من مستقلين أيضاً بقيت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين« مقتصرة على العناصر المكونة للجبهة الشعبية ممن يعودون بانتمائهم إلى حركة القوميين العرب – شباب الثأر – أو من يتعاطفون مع الحركة، وتربطهم بها صلات خاصة مثل: (منظمة أبطال العودة)، وبالتالي أصبحت الصورة الجديدة صورة تطابق تطابقاً شبه تام بين فكر الجبهة من ناحية وفكر حركة القوميين العرب (أصولهم القديمة) من ناحية أخرى. ويمكن أن نلخص ما أنجزته الجبهة باحتفاظها بالاسم رغم إدراكها وتصرفها على أساس أنها فصيل للطبقة العاملة فكراً، وليس كإطار، كما يدل الاسم الذي لم يجر استبداله، ويؤكد ذلك أحد أبرز القادة الحاليين للجبهة جميل المجدلاوي بقوله: «نحن لا نعتبر خروج أحمد جبريل من جسم الجبهة كانشقاق، بل نعتبره خروجاً من الائتلاف، فأحمد جبريل دخل بتنظيم يسمى جبهة التحرير الفلسطينية، ثم انسحب منه فيما بعد مشكلاً بتنظيمه ما أسماه (الجبهة الشعبية- القيادة العامة)»[3].

(١) عبد القادر ياسين وأحمد صادق سعد: مرجع سبق ذكره، ص١١٢.

(٢) حاتم أبو زايدة: الكفاح الفلسطيني المسلح، فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٥ – ٢٠٠٠، مركز أبحاث المستقبل، غزة ٢٠٠٦، ص٢٨.

(٣) جميل المجدلاوي: مقابلة شخصية، ١٦/ ٨/ ٢٠٠٥م. في مكتبه.

٢- انشقاق نايف حواتمة (الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين)

تعود جذور هذا الانشقاق إلى الصراع الأيديولوجي والسياسي قبل تشكيل الجبهة الشعبية، التى تشكلت من ثلاث منظمات، وشكلت حركة القوميين العرب العمود الفقري للجبهة الشعبية[١].

ولقد ابتدأت هذه المرحلة بحالة مخاض شديدة داخل صفوف الجبهة حول إمكانية تحول الجبهة إلى حزب ماركسي- لينيني [٢] داخل الحركة. فمن جهة قبلت القيادة ممثلة بالدكتور جورج حبش، وهاني الهندي، ووديع حداد، وأحمد الخطيب بالقرارات الاشتراكية، على أن تتم بصورة سلمية ضمن إطار تحالف واسع بين الطبقات العاملة، والمثقفين، والرأسماليين الوطنيين، ومن جهة أخرى قبل محسن إبراهيم مع مجموعة من شباب الجيل الجديد للحركة بالقرارات الاشتراكية من حيث المبدأ، ولكنهم تساءلوا عن إمكانية تطبيق مثل هذه الإجراءات الحاسمة في غياب الحزب الاشتراكي، كما رفضوا نظرية الانتقال السلمي نحو الاشتراكية على أساس أنها نظرية غير ملائمة[٣].

ونتيجة لذلك تم في عام ١٩٦٢م وضع برنامج جديد للحركة بتحريض من محسن إبراهيم، اعتمد الصراع الطبقي أساساً له[٤].

وقد ظل القوميون العرب خلال عامي ١٩٦٤ – ١٩٦٥م على اتصال وثيق

(١) نايف حواتمة: حوار بين الجبهة الديمقراطية والطليعة – أجرى الحوار لطفي الخولي مع نايف حواتمة، الطليعة (القاهرة)، العدد١١، السنة الخامسة، نوفمبر ١٩٦٩م، ص٨٧.

(٢) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: بعد عشرين عاماً من التحول، قراءة في التطور السياسي، المركز الإعلامي للجبهة، دمشق، ١٩٨٧، ص١٣-١٥.

(٣) الكبيسي: مرجع سبق ذكره، ص٨١.

(٤) المرجع نفسه، ص٨٤.

بعبد الناصر، وكانت مجموعة محسن ابراهيم قد أخذت زمام المبادرة في المؤتمر القومي عام ١٩٦٥م، بتقديم اقتراح، يتضمن دمج حركة القوميين العرب بالناصرية، وقد تمكنت هذه المجموعة من استقطاب غالبية أعضاء المؤتمر إلى جانبها، وهكذا أعدوا برنامجاً يهدف إلى خلق حركة عربية اشتراكية جديدة، تعتمد على الطبقة العاملة، وعلى فكر اشتراكي واضح(١)، وتوالت المؤتمرات الداخلية في حركة القوميين العرب بعد هزيمة ١٩٦٧م، وذلك وسط تخبط فكري لمناقشة نتائج الهزيمة وأسبابها، وتحديد موقف منها، وقد شهدت الحركة - ربما للمرة الأولى في تاريخها- انتشاراً واسعاً للنهج الماركسي في التحليل(*) وفي المطالبة بتغيير الخط السياسي للحركة التي وصفت بأنها شبه برجوازية، وعلى إثر ذلك انتشرت تصنيفات اليسار واليمين فيها، فاليسار هو الذي أعلن التزامه بالماركسية، واليمين رفضها، ثم وافق عليها مع التحفظ والتروي(٢).

(١) نفسه، ص٨٤.

(*) هذه المؤتمرات أدت إلى إنهاء الوجود الفعلي للحركة، وتحولها إلى منظمات يسارية، وهكذا عرفت فروع الحركة في أماكن تواجدها على امتداد عام ١٩٦٨م التي حرصت اللجنة التنفيذية خلال اجتماعاتها على المحافظة عليها طوال سنة ١٩٦٧، واعتبر يسار الحركة الموافقة اللفظية التي أعطيت له على برنامجه أو طروحاته اليسارية ما هي إلا سراب. ففي العراق عقد فرع الحركة مؤتمر صيف ١٩٦٨م طرح فيه يسار الحركة برنامجه الذي يعتمد على الصراع الطبقي. و في سوريا عقدت اللجنة المركزية للحركة مؤتمرها في النصف الثاني من العام ١٩٦٨م، وقد استطاع يسار الحركة أن يرفض مواقفه السياسية، نظرا لانسحاب العناصر المؤسسة والمعارضة في صفوف الحركة في وقت مبكر من عام ١٩٦٨م لتتجمع حول فروع الحركة الفلسطينية، مما سهّل على المؤتمر أن يتبنى برنامجا يساريا، وفي لبنان عقدت الحركة مؤتمرًا قطريًا في أوائل ١٩٦٨م، طرحت فيه العناصر القيادية اليسارية برنامج تطور ديمقراطي داخلي هدف إلى محاصرة الأفكار البرجوازية الصغيرة، ودفع عملية الفرز الطبقي إلى الأمام، وفي الخليج العربي عملت معظم فروع الحركة هناك من أجل تحول تنظيمي وأيديولوجي مشابه لما حدث في الفروع الأخرى.انظر إبراهيم إبراش: الحركة القومية في مائة عام: مرجع سبق ذكره، ص٤٧٠ – ٤٧٢.

(٢) جلول: حركة القوميين العرب، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٩.

فالقيادة المركزية السياسية في الحركة مع إدراكها بفشل البرجوازية الصغيرة في قيادة حركة التحرر الوطني، ومع تراكم القناعات لدى غالبيتها في صلاحية الماركسية كأداة للتحليل وكأيديولوجية ثورية نضالية بديلة لأيديولوجية البرجوازية والرأسمالية، فإن تلك القيادة ظلت تعيش حالة من الازدواجية الفكرية، لكونها عجزت على أن تمارس عمليا ممارسة يسارية تتوافق مع ما تولد لديها من قناعات جديدة، لكن الحرص على وحدة الحركة وعدم تشرذمها كان سائدا في أوساط الفريقين.

وهنا لابد من الإشارة إلى القدرة التنظيمية التي كان يمتلكها زعيم الحركة الدكتور جورج حبش، والذي استطاع أن يوازن بين الأجنحة، وأن يحافظ على وحدة الحركة، وأن يشكل من قياداتها ما عرف فيما بعد بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ويرى عدد من القياديين الذين عاصروا تلك الفترة أن حبش لعب أدواراً مشابهة في الفترات التي كانت الحركة تواجه فيها أزمات، وأنه نجح في احتوائها[1]، لكن كثرة الخلافات التي استمرت داخل الجبهة الشعبية بين الجناح اليميني واليساري حول العديد من القضايا والتوجهات الفكرية، توجت بمعارضة يسارية داخل الجبهة، اتهمت القيادة المركزية باليمينية، وعدم بلورتها لنهج ثوري يساري يعتمد أيديولوجية الطبقة العاملة، وبمهادنتها للأنظمة العربية المرتبطة بالقوى الإمبريالية، خاصة عندما أخذت الجبهة شعاراً يقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية[2].

(١) المرجع نفسه: ص١٩٠.

(٢) للمزيد انظر البيان السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ٢٢/ ٤/ ١٩٦٨م، الوثائق العربية الفلسطينية لعام ١٩٦٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص٢٦٦.

وجاء مؤتمر آب/ أغسطس ١٩٦٨م الذي عقدته الجبهة لكي يشكل علامة فارقة تاريخية في الصراع الفكري، والسياسي، والتنظيمي القائم بين جناحي الجبهة[١].

فقد استغلت عناصر اليسار في الجبهة الشعبية والملتفة حول نايف حواتمة هذا الاجتماع في ظل غياب حبش، مؤسس الجبهة الشعبية، لتطرح تحليلا سياسيا طبقيا لحرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧م ولأوضاع حركة الثورة الفلسطينية، مهتدية ببرنامج تطور ديمقراطي، يأخذ بالمبادئ الماركسية أو فكر الطبقة العاملة[٢].

وقد صرح أبو علي مصطفى الذي حضر هذا المؤتمر أنه لم يتم إعداد وثائق ليتم عقد المؤتمر على أساسها، فعقد دون وثائق، وبصورة ارتجالية، ولم يتشكل المؤتمر على أساس ديمقراطي، ولم يكن له أو لفرع الحركة لوائح أو نظام داخلي، كما لم يكن الوضع التنظيمي قد اكتسب صورة التنظيم الحزبي، الذي يمكن أن يفرز مؤتمراً حزبياً بالمعنى الحقيقي[٣].

والنتيجة الحاسمة التي خرج بها التقرير واعتبرها طريق الخلاص الوطني كانت ضرورة تبني أيديولوجية ثورية علمية (أيديولوجية البروليتاريا) تكون معادية للاستعمار، والصهيونية، والرجعية، وتتسلح بها الجماهير، وتعتمد بالأساس على الطبقات الأكثر ثورية وجذرية في المجتمع[٤].

وأوضح التقرير أن تجربة بلادنا وتجربة التحرر الوطني في آسيا و أفريقيا وأمريكا

(١) أشرف إسماعيل: الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ١٩٦٩ - ١٩٩٣، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات العربية، قسم الدراسات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٠.

(٢) خليل: مرجع سبق ذكره، ص٢٢.

(٣) أبو علي مصطفى: حقيقة ما حدث، الأيام (رام الله) العدد ٨٨٦، مرجع سبق ذكره، ص١٨.

(٤) الموسوعة الفلسطينية، قسم ٢، مج٣، مرجع سبق ذكره، ص٩٤٣.

اللاتينية، أثبتت فشل وعجز إيديولوجية الإقطاع عن قيادة معركة التحرر الوطني، كما أكدت على عجز الأيديولوجية البرجوازية الكبيرة. وأن تجربة بلادنا وكل شعوب الأرض الفقيرة أثبتت أن أيديولوجية البرجوازية الصغيرة غير قادرة، وغير مؤهلة لحل معضلات التحرير الوطني، والانحياز إلى جبهة الكفاح الطويل الأمد لدحر الإمبريالية والقوى العميلة المتحالفة معها[1].

وخلاصة القول إن المؤتمر قد خرج ببرنامج ديمقراطي، يأخذ بالمبادئ الماركسية، ويعلن الانحياز الكامل للبرنامج الأيديولوجي والتنظيمي الذي تقدم به الجناح اليساري التقدمي في الجبهة الشعبية. وإلى جانب الانتصار السياسي والأيديولوجي نجح الاتجاه اليساري في تعزيز مواقعه في الهيئات القيادية، فقد انتخب المؤتمر لجنة تنفيذية جديدة سيطر عليها اليسار بنسبة عشرة إلى خمسة[2]. وقد أدعى الجناح اليساري بأن القيادة السياسية المؤسسة للجبهة المتمثلة، في جورج حبش ورفاقه قد رفضت نتيجة الانتخابات[3].

ويذكر نايف حواتمه زعيم الجناح اليساري أن اليمينيين استخدموا القوة ضد اليساريين، لإجبارهم على التخلي عن النتيجة، وقبول قيادة جديدة كانت في غالبيتها الساحقة من الجناح اليميني[4]، وقد نفت الجبهة الشعبية على لسان أبو علي مصطفى حصول أية تدخلات بالقوة، مؤكداً أنه جرت تسوية تنظيمية اقترحها نايف حواتمة بإلغاء انتخابات اللجنة المركزية، وتشكيل قيادة مؤقتة، تكون مهمتها قيادة الجبهة

(١) خليل، مرجع سبق ذكره، ص٢٣.

(٢) الريس ودينا النحاس، مرجع سبق ذكره، ص٦١.

(٣) الحرية (بيروت) العدد ٤٥٢، ٢٤/ ٢/ ١٩٦٩م، مرجع سبق ذكره، ص٥.

(٤) الريس، والنحاس: مرجع سبق ذكره، ص٦١. وانظر أيضا: الحرية، (بيروت) العدد (٤٥٩). ١٤/ ٤/ ١٩٦٩م، ص٧.

إلى حين عقد مؤتمر معد له بصورة أفضل خلال ثلاثة أشهر كحد أقصى قبل نهاية العام، وقد وافق المؤتمر على الحل المؤقت(*).

وقد تمت الموافقة - وفي هذه التسوية أيضاً-على البرنامج السياسي، الذي طرحته عناصر اليسار، والتي بنت عليه الجبهة الديمقراطية استقلالها الأيديولوجي، والسياسي، والتنظيمي لاحقاً(١). ويذكر أبو علي مصطفى أن الخلافات زادت حدة بعد أن رفض ما يسمى باليسار التقيد بما جاء في التسوية التنظيمية، ومنها: التحضير لعقد مؤتمر جديد بعد ثلاثة أشهر، والتحضير لانتخابات ديمقراطية تحفظ للمؤتمر شرعيته، وقيام ما يسمى باليسار من ممارسات توتر الوضع الداخلي للجبهة، مثل: عقد اجتماعات سرية بدون علم القيادة، وأطلقت على نفسها في هذه الاجتماعات اسم التيار اليساري، وأصدرت التعليمات الداخلية والبيانات التي تحرض على قيادة الجبهة. ووصفتها بالقيادة التوفيقية، كما أنشأ اليسار قاعدة عسكرية دون علم القيادة في جبل عجلون، كما أجري اتصالات سرية مع قيادة «حركة فتح» «والصاعقة» لتأمين دعم الانشقاق بالمال والسلاح(٢).

وقال الأمين العام للجبهة الدكتور جورج حبش في ذلك: «إن سبب الخلاف داخل الجبهة هو أن البعض يطالب بتفجير الصراع الطبقي، بينما نحن نريد أن نجر المزيد من قطاعات الشعب الفلسطيني إلى ساحة القتال، إضافة إلى أن منطق

(*) الأعضاء الذين تم اختيارهم بشكل توفيقي ، هم : أبو علي مصطفى ،ووديع حداد ونايف حواتمة، وأحمد محمد إبراهيم (أبو عيسى)، وحمدي مطر، ومحمد المسلمي، وزكريا أبو سنينة، على أن يكون جورج حبش مسئولها الأول، ويتحمل المسئولية في غيابه أبوعلي مصطفى.(انظر: أبو علي مصطفى: حقيقة ما حدث، الأيام (رام الله) ، العدد ٨٨٧، ١٢/ ٦/ ١٩٩٨م، مرجع سبق ذكره، ص١٧.

(١) قيس عبد الكريم وفهد سليمان: الجبهة الديمقراطية، النشأة والمسار، ط١، شركة دار التقدم العربي للصحافة، والطباعة، والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٠.

(٢) أبو علي مصطفى: حقيقة ما حدث، مرجع سبق ذكره، ص١٧.

المعارضين سيعزل الجبهة عن الجميع حتى عن ذوي المصلحة الحقيقية في الثورة»[1].

وقد اتهمت قيادة الجبهة الشعبية ممثلة فى قيادتها المؤسسة هذه العناصر بالانتهازية والطفولية، وأنهم من المراهقين مثقفي المقاهي، من أبناء المدن الذين يتشدقون بالاشتراكية العلمية تشدقا «لفظياً متوتراً» دون أن تكون لديهم القدرة على ممارستها، فرفضوا النزول للقتال فى الداخل، ورفضوا الإقامة فى المخيمات والريف، وبدلاً من كل ذلك قاموا بعملية كيل الاتهامات هنا وهناك دون تفكير بمصلحة الجماهير القادمة، وأصبح كل عملهم، وكل جهدهم، ونشاطهم محصوراً في مهاجمة الجبهة، وقياداتها، ووصف مقاتليها بالمرتزقة، مما حولهم موضوعيا إلى قوة مخربة لعمل الجبهة متلاقين بذلك مع الاستعمار وكافة القوى الرجعية التي دأبت على تخريب الجبهة منذ لحظة وجودها حتى الآن[2].

ولكن بالرغم من كل هذه المواقف، حاولت القيادة تغليب لغة الحوار والعقل، وذلك بأن يعمل الفريق المنشق باسم مستقل عن الجبهة، شرط أن لا يحملوا اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأعلنت الجبهة أنها ستترك هذا الفريق وشأنه لحكم الجماهير والتاريخ إذا ما اختاروا العمل بأي اسم آخر[3]. ولكن الفريق المنشق رفض ذلك، مما دفع الجبهة إلى حسم الأمور، واعتقال هذه المجموعة المنشقة، وتجريدها من السلاح، ومحاكمتها في محكمة شعبية، ومن ثم فصلها من تنظيم الجبهة الشعبية[4]. ولم تنف الجبهة الشعبية أنها اتخذت قراراً سياسياً بحسم الموقف نهائيا

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧١، ص٩٥.

(٢) المرجع نفسه : ص٩٦.

(٣) غازي خورشيد: دليل ...، مرجع سبق ذكره، ص١١٣.

(٤) المرجع نفسه : ص١١٣.

بالقوة ضد الفريق المنشق[1].

وقد أذاع الفريق الآخر بياناً في ١٨ شباط/ فبراير ١٩٦٩م، أعلن فيه عن وقوع صدام بين الجانبين، ثم تكرر هذا الصدام في شوارع عمان مرة ثانية خلال ٤٨ ساعة، وأسفر عن مقتل شخص وأصابه ثلاثة بجروح[2]. وبفعل احتدام الوضع بين الطرفين ولجوئهما إلى السلاح تدخلت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبمساعدة تنظيمات المقاومة لحل الخلاف بين الفريقين، وفي ٢١ شباط/ فبراير ١٩٦٩م قرر الفريق المنشق أن يعمل تحت اسم «الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرر فلسطين»[3]. وذلك بإضافة عبارة «الديمقراطية» للجبهة الشعبية، لتمييزها عن الفريق الآخر، وأصبح نايف حواتمة الناطق الرسمي باسمها، إلى أن تم انتخابه أمينا عاماً للجبهة الديمقراطية من اللجنة المركزية الأولى المنبثقة عن المؤتمر التأسيسي في آب/ أغسطس ١٩٧٠م وهي المسئولية التي استمر في تحملها حتى الآن[4].

وقد اعتبرت الجبهة الديمقراطية -عند انطلاقتها أن من أسباب الخلافات الفكرية التي حدثت بين الجناح اليساري والجناح اليميني هي أسباب كافية، لا يمكن التقليل من شأنها، ولكن كانت هناك أمور أخرى شجعت على الانشقاق، حيث بينت الجبهة الديمقراطية: أن هناك أخطاء كبيرة وقعت فيها الجبهة، حيث أخذت بمبدأ عدم التدخل في الأوضاع العربية، مما منعها من عدم كشف أسباب هزيمة ١٩٦٧م، ورأت أن عدم التدخل بكل ما يمس بالقضية الفلسطينية من

(١) إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص١٣.
(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٩م مرجع سبق ذكره، ص٩٦.
(٣) خورشيد، دليل ...: مرجع سبق ذكره، ص١١٣.
(٤) إسماعيل: مرجع سبق ذكره، ص١٩.

جانب الأنظمة العربية قد يمس بالقضية الفلسطينية نفسها»[1].

ومن هنا نفهم الهجوم الذي شنته الجبهة الديمقراطية على الأنظمة العربية التقدمية، فهي من وجهة نظر الجبهة أخفقت في بلوغ الأهداف القومية والاجتماعية، وكان هذا الهجوم يستهدف بالدرجة الأولى مصر والعراق، بالإضافة إلى الأنظمة الرجعية. وبررت الجبهة الديمقراطية أعمالها بأن المقاومة الفلسطينية لا تستطيع بلوغ أهدافها إلا إذا اشتركت جميع الأنظمة العربية في الصراع ضد إسرائيل والإمبريالية، وبأن البلدان العربية ذات الأنظمة الرجعية لا تستطيع الانضمام إلى المعركة[2].

ويمكن القول إن الجبهة الديمقراطية وقعت في خطأ عندما تناولت هذه القضية الحساسة؛ لأن التناقض الأساسي يجب أن يكون مع إسرائيل، وليس مع الأنظمة العربية الوطنية؛ وذلك لأن الثورة الفلسطينية في تلك الفترة لم تصل إلى المستوى المطلوب الذي يمكنها من التعامل اليومي مع تناقضاتها في الساحة العربية.

ويقول جورج حبش في هذا المجال «إن هناك عوامل خارجية لعبت دوراً كبيراً، حيث إن حركة فتح كانت مستعدة لمساندة أية ظاهرة من هذا النوع حتى تضعف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المنافس الأقوى لها».

ويمكن القول إن هذا التفسير غير دقيق؛ لأن تدخل «فتح» جاء بعد مفاوضات الجبهة الشعبية مع المنشقين من خلال مساعدتهم بالمال والسلاح شرط أن لا يحملوا اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[3].

---

(١) الحرية، بيروت، العدد ٤٥٢، ٢٤/ ٢/ ١٩٦٩م، ص٣.

(٢) الريس، والنحاس: مرجع سبق ذكره، ص٣٦.

(٣) انظر: البيان السياسي للجبهة الشعبية، في ٩/ ٢/ ١٩٦٩م.

فحركة فتح أرادت منع الاقتتال بين الطرفين، والذي لا يصب إلا في مصلحة إسرائيل، وبالتالي فإن التدخل كان لصالح الفريقين ولصالح حركة المقاومة الفلسطينية، وإيقاف نزف الدم الفلسطيني، ومن هنا كان التدخل حماية للعمل الفلسطيني، ومن أجل إجراء مفاوضات بين «الشعبية» والمنشقين. ومهما يكن من أمر، فإن الانشقاق وتشكيل فصيل جديد كان ضربة قوية انعكست على أوضاع الجبهة الشعبية من النواحي التنظيمية، والسياسية، والعسكرية، كما أنها انعكست سلباً على واقع ومستقبل حركة المقاومة الفلسطينية كمرحلة من مراحل حركة التحرر الوطني الفلسطيني، والتي تستوجب في هذه المرحلة الالتزام بالوحدة الوطنية رغم الاختلافات الأيديولوجية والاجتماعية.

٣- انشقاق الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين.

واجهت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في آذار/ مارس ١٩٧٢م الانشقاق الثالث الذي أدى إلى تشكيل «الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين»، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الجبهة تعقد مؤتمرها الثالث في الفترة ٦- ٩ آذار/ مارس ١٩٧٢م[١]، وسط ظروف موضوعية وذاتية بالغة التعقيد والصعوبة. فمنذ أحداث أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠م مروراً بسلسلة المعارك التي تلت ذلك بين حركة المقاومة والنظام الأردني من ناحية ثانية، بات واضحاً أن الثورة الفلسطينية أصبحت تواجه مراحل جديدة أشق وأصعب من المرحلة السابقة، خاصة بعد نتائج معارك جرش وعجلون في تموز/ يوليو ١٩٧١م وخروج المقاومة الفلسطينية إلى لبنان[٢].

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥، ص٤٠.

(٢) مهمات المرحلة الجديدة، التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، آذار/ مارس ١٩٧٢م، لجنة الإعلام المركزية للجبهة ١٩٧٢م، ص٥ – ٦.

فبعد انشقاق نايف حواتمة وتأسيس الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين فضلت مجموعة من كوادر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عدم الانشقاق والبقاء داخل صفوف الجبهة وخوض نضال يستهدف تحويل الجبهة إلى حزب ماركسي- لينيني. يقول أحد الكوادر في هذه المجموعة: «كنا ننظر إلى مجموعة المنشقين على أنهم مجموعة من المثقفين، الذين لم يكن لديهم وجود فعلي في قواعد الجبهة السياسية، والعسكرية، والفكرية. ويضيف: لم تنضج لدينا فكرة الانشقاق عن الجبهة»، وفضلنا أن نبقى في الجبهة الشعبية للنضال والعمل على تحويلها من جبهة إلى حزب ماركسي- لينيني، ومن هنا بدأنا بالاستعانة بالرفاق الشيوعيين العرب، وبناء مدرسة الكادر لتلقي الدورات والندوات الفكرية[1].

وقد حاول الأمين العام للجبهة «جورج حبش» إقناع رفاقه القدامى باتباع هذا الأسلوب الجديد، فاستجابت قيادات الجبهة للأيديولوجية الجديدة بناءً على رغبة حبش الشخصية، إلاّ أن السؤال الأساسي بقي معلقاً، وكان يدور حول ما إذا كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين امتداداً لحركة القوميين العرب، أم هي عبارة عن منظمة برجوازية صغيرة تتخذ مواقف قومية أم أنها منظمة ماركسية لينينية حقيقية[2].

(١) سالم دردونة، مقابلة شخصية في مكتب اللجنة الشعبية بمخيم جباليا، ٨/ ٦/ ٢٠٠٦م. سالم يوسف خليل دردونة من مواليد ٣٠/ ٣/ ١٩٤٥م التحق بجامعة عين شمس بكلية الآداب – لغة عربية سنة ١٩٦٣م، التحق بحركة القوميين العرب عام ١٩٦٤م، وعندما تأسست «الجبهة الشعبية»، انضم إليها عام ١٩٦٧م، وفي عام ١٩٧٢ كان من أحد رموز المنشقين في الجبهة الشعبية الثورية، وأصبح عضوًا في لجنة المركزية للجبهة الديقراطية بعد انشقاقها عن الجبهة الشعبية، وعضو قيادة عسكرية في لبنان، وسكرتير الشبيبة الديمقراطية، وعضو لجنة مناطق محلية، والآن يعمل في السلطة الفلسطينية برتبة عميد.

(٢) الريس والنحاس: مرجع سبق ذكره، ص٢.

لذا فقد نشأ التناقض وعملية التحول، حيث ازدادت يوما بعد يوم العناصر التي استقطبتها النواة الماركسية، حيث سارت الحركة داخل الجبهة باتجاه قطب يساري، يكون أقدر على قيادة عملية التحول، ومحاولة استقطاب المزيد من العناصر باتجاه اليسار، وحسم وضع القوى التي تبقى بشكل ضمني، بحكم بنيتها الفكرية السابقة، وتقاليد عملها، معارضة لعملية التحول، أو التي تصبح في فترة من الفترات معرقلة لهذه العملية، خاصة بحكم ما تفرضه عملية التحول والنمو من صعود وهبوط الأوضاع القيادية، بين وجهة نظر ماركسية- لينينية، وبين وجهة نظر لا تمتلك النهج الماركسي - اللينيني، ولا تنطلق منه في تحديد مواقفها من هذه الموضوعات وفي هذه الحالة يكون القطب الذي يتبنى المواقف المنطلقة من النهج الماركسي هو اليسار، والقطب المعارض لهذه الموقف هو اليمين[1]، وذلك للاعتقاد بأن من غير الممكن تحويل منظمة برجوازية صغيرة إلى حزب ماركسي- لينيني.

وبعد أحداث أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠م، وخروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، عكست الأزمة الوطنية نفسها على وضع الجبهة الشعبية، فدعت قيادة الجبهة إلى عقد مؤتمرها الثالث، للاستفادة من أزمة أيلول، وخروج المقاومة، واستخلاص الدروس، ووضع برنامج لنهضة الجبهة[2].

وقد ظل الحوار والجدل الفكري داخل الجبهة إلى أن وقعت حادثة اختطاف طائرة (الجامبو جيت) الألمانية إلى عدن، حيث قدم بعض المعروفين بيساريتهم داخل الجبهة استفساراً حول قضية الطائرة، فلم يجب عليه أحد، على اعتبار أن

(١) نجيب صالح، قصة الخلافات في الجبهة، من المذكرات والوثائق إلى الانشقاق، الصياد، (بيروت) ١٤٣٥، ١٦-٢٣/ ٣/ ١٩٧٢م، ص٣٤.

(٢) سالم دردونة: مقابلة شخصية، غزة، ٨/ ٦/ ٢٠٠٦م.

العمليات الخارجية مسألة سرية، لا يجوز كشفها، أو مناقشة عملياتها[*]"[1].

فانفجرت أزمة تنظيمية أيديولوجية ما بين اليمين واليسار، عندئذ أصدرت الجبهة وثيقة داخلية تم تعميمها على الأعضاء بشكل سري، وبهذه الوثيقة صنفت كادر الجبهة الشعبية الأساسي إلى تصنيفات طبقية، وهي (تيار اليمين – تيار اليسار – تيار مناضل أو وسطي)"[2]، وقد انعكس ذلك على واقع التنظيمات الثورية، حيث ظهرت في صفوفها تيارات واضحة عديدة تبلورت تدريجياً كالتالي"[3]:

١- **التيار اليميني**: وهو التيار الأكثر تمسكاً بالتقاليد التاريخية، والأفكار، والنظريات القومية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، ويدعي باستمرار أن نظرياته تختلف عن النظرية الماركسية – اللينينية، أو أن النظرية الماركسية – اللينينية لا تصلح كلياً للواقع الملموس في البلد المعني، أو يعبر عن مصالح البرجوازية الصغيرة بمختلف فئاتها والمثقفين البرجوازيين الصغار.

٢- **التيار اليساري**: وقد عبر عن المصالح المشتركة للفلاحين، والفقراء، والطبقة

(*) يقول محمد العجرمي عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية: إن وديع حداد كان يشك في أن المكتب السياسي للجبهة الشعبية كان مخترقاً أمنياً فلم يبح بالعمليات العسكرية، خاصة الخارجية، وقد ثبتت رؤية وديع عندما تم اكتشاف شخص في المكتب السياسي يدعى وليد قدورة قام بتسريب معلومات العمليات الخارجية للمخابرات اللبنانية (المكتب الثاني)، حيث قام المكتب الثاني بتسريب هذه المعلومات إلى المخابرات الإسرائيلية. أيضاً تم اكتشاف عضو قيادة في الجبهة يدعى أبو أحمد يونس وقد أسهم في تهريب أحد الأشخاص المتهمين بالتجسس لصالح إسرائيل من أحد معسكرات الجبهة في شمال لبنان وقد قامت الجبهة ، بإعدام يونس .

محمد العجرمي، مقابلة شخصية. ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٦، في منزله بمخيم جباليا.

(١) صالح: مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

(٢) محمد العجرمي مقابلة شخصية ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٦م، في منزله بمخيم جباليا بغزة.

(٣) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: بعد عشرين عام من التحول، مرجع سبق ذكره ، ص٥.

العاملة، وهو تيار متأثر أكثر من غيره بالفكر الاشتراكي العلمي، ويسير بوتائر أسرع، مقترباً من أيديولوجية وسياسة الطبقة العاملة.

٣- **التيار الوسطي**: وهو تيار يقع بين التيارين السابقين، ادعى تمايزه عنهما وعن تصرفاتهما، وشكل الإطار الأوسع، والأكثر انتشاراً في صفوف الديمقراطية الثورية، لكنه أقل تبلوراً وانسجاماً من التيارين السابقين، والأكثر تذبذباً، يشده نجاح هذا التيار أو ذاك، ويصبح محط صراح بينهما، فكل منهما يحاول كسبه. وقد دلت التجربة على أن تحول القوى الديمقراطية الثورية إلى الماركسية – اللينينية اعتمد غالباً على كسب الجناح اليساري لهذا التيار الوسطي. ومن الجدير بالذكر أن جميع هذه التيارات ذات طبيعة ديمقراطية، واتجاه تقدمي، لكنها متفاوتة في اقترابها إلى مواقع الماركسية – اللينينية.

وقد أدت هذه التصنيفات إلى سلسلة من الاتهامات المتبادلة بين ما سمي بيمين الجبهة ويسارها حول امتيازات أعطيت لفريق دون الآخر، وحول مسؤوليات قيادية تمسك بها فريق دون الآخر[1].

وكان اليسار ممثلاً بأحمد الفرحان «أبو شهاب»، قد اعتبر حبش متعاطفاً مع طرحه الماركسي، وكان لليسار نفوذ كبير في قيادة لبنان، ومهيمن على الوحدات الفدائية في الجنوب، لكن وديع حداد (الاتجاه اليميني) كان يسيطر على مالية الجبهة الشعبية، واتهمه خصومه بأنه قام بقطع الرواتب والتموين عن الفدائيين[2].

كما اتهم التيار اليساري بأن الجبهة انقسمت إلى قسمين: تيار يميني يؤيد الأعمال

(١) خمس وثائق عن الخلاف في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: الأنوار(بيروت)، العدد (٤٠٧٨)، بيروت، ١٢/ ٣/ ١٩٧٢، ص٧.

(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٩.

الاستعراضية الكبرى كخطف الطائرات مثلا، وتيار يساري معارض لهذه الأعمال، ويدعو إلى تعميق النضال السياسي والعقائدي في صفوف الجماهير الفلسطينية والعربية[1]. وبناءً على ذلك خرجت مجموعة من كوادر الجبهة أطلقت على نفسها الظاهرة اليسارية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[2].

وعقدت هذه المجموعة مؤتمرا أطلق عليه مؤتمر الستة والعشرين، وذلك نظرا لعدد الكوادر المؤتمرين[*].

وقد حضر هذا المؤتمر جورج حبش الذي اضطر إلى القيام بسلسلة من الاجتماعات مع فروع التنظيم والمجموعة اليسارية لكسب التأييد لوجهة نظره وذلك عشية انعقاد المؤتمر العام الثالث للجبهة الشعبية، المنوي عقده آنذاك في ٦ آذار/ مارس ١٩٧٢م[3].

وناقش المؤتمرون الأزمة الأيديولوجية التي تمر بها الجبهة الشعبية، وكيفية معالجتها، حيث يقول محمد العجرمي: «أصبت بدهشة خاصة وأن جورج حبش هو الذي وجه إليّ الدعوة لحضور المؤتمر، وقد بدأ حبش الحديث عن أزمة الجبهة السياسية، والأيديولوجية، وضخامة الشرخ الموجود داخل التنظيم، وقد طرح في

(١) انشقاق الجبهة الشعبية: النهار (بيروت) العدد (١١٣٣٩)، السنة ٢٩، ٧/ آذار/ مارس ١٩٧٢، ص١٢.

(٢) محمد العجرمي: مقابلة شخصية ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٦. بمنزله بمخيم جباليا.

(*) الذين حضروا المؤتمر هم (أبو شهاب [عراقي الجنسية]، أبو علي حميده، سالم دردونه، عمر قطيش، وليد قدورة، أبو العبد يونس، محمد العجرمي (أبو غسان)، محمود سعد، فؤاد خليفة، أحمد السردي، سمير الصاحب جمال غياث، أبو أحمد يونس، خالد بكير، أبو الفوز، جورج حبش. لقاء مع محمد العجرمي وسالم دردونه وجميل المجدلاوي.

(٣) صالح: مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

هذا المؤتمر الاستقلال التنظيمي والأيديولوجي على أساس ماركسي- لينيني، وتشكيل حزب للجبهة يحمل اسم هذه الظاهرة[1].

وقد طالب الفريق اليساري بإقصاء القيادة التقليدية وهم: وديع حداد، هاني الهندي، أحمد اليماني، باعتبارهم يمثلون موقفاً متزمتاً يرفض تطوير الجبهة[2].

وقد تساءل عدد من الأعضاء الحاضرين عن شرعية هذا المؤتمر، ووجه العجرمي الحديث للدكتور جورج حبش، متسائلاً: ألا يعني ذلك أنه انشقاق عن الجبهة الشعبية؟ ووقف ضد هذا القرار اثنان من الأعضاء، وهم: عمر قطيش ومحمد العجرمي، وتم تداول الحديث مع حبش، والذي صوت فيما بعد ضد قرار اليساريين[3]، ولكن المؤتمر خرج بقرار وافق عليه أكثر من ثلثي الأعضاء الموجودين، يقضي باستقلال اليسار عن اليمين تنظيمياً وأيديولوجية[4].

لقد حاول جورج حبش رأب الصدع، بحجة أن التحول إلى اليسار هو أمر ممكن، وقد اقترح حبش برنامج التحول التكتيكي لعام ١٩٧٢م على النحو التالي[5]:

١- تشكيل مكتب سياسي وقيادة مركزية.

٢- يراعي نصاً مبدأ التجديد.

٣- تشكيل هيئات قيادية من العناصر التي ساندت مواقف الجبهة، والتي تتمتع بوضوح نظري متفتح، يجعلها قابلة للنمو.

---

(١) محمد العجرمي: مقابلة شخصية ٨/٦/٢٠٠٦م.

(٢) صالح: مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

(٣) محمد العجرمي، مقابلة شخصية.

(٤) الكتاب السنوي العام للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢م، مرجع سبق ذكره، ص٤١.

(٥) خمس وثائق عن الخلاف في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مرجع سبق ذكره، ص٧.

٤- بالنسبة للمكتب السياسي، تُمثل القيادات بنسبة تتلاءم مع أهمية الساحات التي يعملون بها.

٥- القيادة المركزية تشكل من عناصر قادرة على التواجد المشترك.

٦- تكون القيادة المركزية مسئولة عن كافة القيادات المحلية.

وقد أصر حبش على بقاء جميع زعماء الجبهة التقليديين بكامل سلطتهم - المال، والتمويل، والإعلام والعمليات الخارجية، ودافع عن القيادة باعتبارها الاتجاه المناضل، ولكن اليساريين أصروا على إقالة جميع الرعيل الأول، كمقدمة لتحرك الجبهة على طريق التغيير الحقيقي، ولم يستطع حبش مجاراة اليساريين، فتخلى عنهم لمصلحة رفاقه القدامى[1] ولا شك في أن حبش كان يتجنب انقساماً يصعب إصلاحه، لكن العامل الآخر الذي دفعه للنكوص عن موقفه كان تهديد وديع حداد ومساعديه بالانسحاب من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتأسيس تنظيم خاص منافس[2].

والجدير بالذكر أن مثل هذا الموقف كان قد حدث عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩م داخل الجبهة نفسها، وأدى إلى انشقاق الجبهة الديمقراطية، وكان حبش يقف الموقف نفسه، حتى أطلق عليه لقب «أبو الأوفياء»[3].

وقد تفاعلت الأزمة إلى حد الانفصال النهائي، وإعلان قيام الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين في مؤتمر صحفي عقدته قيادة اليسار في ١٠ آذار/ مارس،

(١) صالح، مرجع سبق ذكره، ص٣٤. انظر كذلك: الريس، والنحاس مرجع سبق ذكره، ص٥٣.
(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٠.
(٣) صالح: مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

وحددت فيه خمس نقاط بمثابة نقاط خلاف أساسية:

١- أن قيادة الجبهة لا تمثل قيادة ثورية تتبنى الماركسية – اللينينية، وفي حين أن واقع الثورة الفلسطينية يتطلب وجود هذه القيادة الثورية، ولأن قيادة الجبهة قد عجزت بحكم تكوينها البرجوازي الصغير عن تكوين القيادة المذكورة، فإن قيادة الجبهة تلتزم رسميا بالماركسية اللينينية، في حين أنها برجوازية صغيرة من الناحية الفعلية[١].

٢- لقد أتهم البيان مواقف اليمين بأنها «تجسدت في مجموعة من المواقف الذاتية انطلاقاً من الصراع الشخصي لا المبدئي مع التنظيمات الرئيسية الأخرى[٢]. ودعا البيان إلى سياسة تقوم على إنشاء تحالفات وطيدة مع القوى اليسارية، والتقدمية، وكل الفصائل الشريفة[٣].

يقول سالم دردونة - أحد رموز المنشقين- : «نحن في التيار اليساري كنا نعتبر منظمة التحرير الفلسطينية شركة عرفاتية، لم ننظر إليها على أنها هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كنا نرى أنه عندما تكون للجبهة الشعبية مصلحة أو موقف سياسي ترضى عنه، تدخل في إطار المنظمة، وإذا اختلفنا معها (أي المنظمة) حول موقف سياسي نخرج. ولكن هذا الأمر لم يغير من قناعة اليسار أنه يمكن تطوير المنظمة باعتبارها قائدة للنضال الوطني الفلسطيني»[٤].

٣- لقد اتهم البيان سياسة الجناح اليميني بأنه يخوض حرباً كلامية مع النظام

(١) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، محطات أساسية ، مرجع سبق ذكره، ص٦٦.

(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢م، مرجع سبق ذكره، ص٤١.

(٣) عبد القادر ياسين: الانشقاق الثالث في الجبهة الشعبية الطليعة (القاهرة)، العدد الرابع، السنة الثامنة، ١٩٧٢م، ص١٢٦.

(٤) سالم دردونة: مقابلة شخصية، ٨/ ٩/ ٢٠٠٦م.

الأردني يصاحبها التصدي بعنف لأية عملية منظمة تهدف إلى تعرية النظام بحجة أن الوقت لم يحن بعد[1].

٤- فيما يتعلق بالموقف من خطف الطائرات، فهذه القضية تركز حولها الصراع داخل الجبهة، وقد رأى الجناح اليساري أن الضجة التي خلفتها عملية خطف الطائرات في سبتمبر ١٩٧٠م، محلياً، وعربياً، وعالمياً، ساعدت في خلق الظروف السياسية المناسبة للنظام الرجعي لتنظيم مذابح أيلول سبتمبر ١٩٧٠م[2]، وجلب مجموعة من الأضرار للثورة الفلسطينية[3].

٥- أما فيما يتعلق بالموقف من الانقلابات العسكرية، فقد اتهم البيان الجناح اليميني في الجبهة بأنه اعتمد نهجاً انقلابياً ضد النظام الأردني، من خلال الاعتماد على مجموعة من كبار الضباط، وإقامة صلة معهم، وحثهم على إسقاط النظام، وذلك بدلاً من الاعتماد على الجماهير الشعبية، الأردنية وقواعد الجيش[4]. وقد سيطر موضوع انشقاق اليسار على جو المؤتمر الوطني الثالث للجبهة الشعبية والذي صدر باسم (مهمات المرحلة الجديدة). وقد طرحت في المؤتمر وثيقتان تضمنتا أسس الخلاف ووجهات النظر بين الطرفين، قدم الأولى حبش، وهي دراسة حول (الأزمة التنظيمية في الجبهة) في حين عارضها الجناح اليساري بدراسة عن أزمة المقاومة.

ويرجع حبش الأزمة التنظيمية للجبهة إلى خمسة عشر سبباً أهمها ما يسميه (بالظاهرة اليسارية) وفي رأيه أنها متأثرة بنشأتها البرجوازية، وبترسبات معينة، كما أنها متأثرة بطبيعة البيئة التنظيمية التي لم توفر لها الرعاية القيادية اللازمة، بل

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، مرجع سبق ذكره، ص٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص٤١

(٣) خليل: مرجع سبق ذكره، ص٣١.

(٤) الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، محطات أساسية، مرجع سبق ذكره، ص٦١

مارست تجاهها موقفاً متشنجاً يلتقط أخطاءها ويحاكمها من خلال هذه الأخطاء، ولذلك لا يمكن اعتبارها يساراً مكتملاً. ويرى حبش أن أبرز وأهم خطر للظاهرة اليسارية، يتعلق بالجانب التنظيمي، ومسألة تحول هذه الظاهرة إلى حزب، أما خطؤها الأساسي فهو عدم تنبهها الكافي لخطورة المراهقة اليسارية، والنزعة الانتهازية اليسارية، وبالتالي عدم تصديها بالإجراءات التنظيمية لمثل هذه الظاهرة[1].

وقد رأى اليساريون أن المشكلة تتعلق بالمغزى الأساسي لانقسام الجبهة إلى أغلبية وأقلية فالأغلبية هي الجناح الثوري، والأقلية، هي الجناح الانتهازي، والخلافات بين المجموعتين تتعلق بقضايا التنظيم، لا بمسائل البرنامج أو التكتيك ومعرفة المفاهيم الجديدة فالأزمة التي تمر بها الجبهة قد عكست الصراع السياسي، والأيديولوجي، والتنظيمي الذي على أساسه انقسمت الجبهة إلى فريقين وتيارين: أحدهما يمين، والآخر يسار، وعلى ضوء هذه الأزمة توقف مصير الجبهة ومستقبلها ، وإلى حد كبير مستقبل ومصير حركة المقاومة والثورة الفلسطينية فالأزمة هي إحدى نقاط الخلاف التي يتوقف على حلها مصير الحركة، وتتضاءل إزاءها أكثر فأكثر جميع أحداث النضال الصغيرة على اختلافها، والدعوة للقفز فوق هذه المسألة تجعل أصحاب هذه الدعوة إما جهلة، أو أن هناك دوافع وراء مسعاهم هذا، خاصة وأن الظروف الموضوعية التي جاءت بعد حزيران/ يونيو ١٩٦٧م، ساعدت على نهوض حركة القوميين في ظل تركيبتها وتكوينها مما جعل بروز الأزمة الموضوعية أمراً غير ممكن، دون مرور الحركة الثورية الفلسطينية بالمأزق، الذى قضى بنموها وتطورها[2].

وتشير نشرة « الشرارة» التي كان يسيطر عليها يساريو الجبهة في فرع لبنان في

(١) عبد القادر ياسين: الانشقاق الثالث...، مرجع سبق ذكره، ص١٢٦.

(٢) صالح، مرجع سبق ذكره، ص٧.

مقال لها بعنوان: «اليمين واليسار في الجبهة الشعبية» أن يمين الجبهة يحاول أن يبتر أية محاولة لدفع التنظيم لأية خطوة إلى الأمام، مهما تكن متواضعة باستهتاره وعبثه بالنظرية الثورية[1].

وقد رأت قيادة الجبهة أن هذا الانشقاق لم تكن أهدافه وطنية كما ادعت قيادة التيار اليساري بل كان مدعوما من بعض الأنظمة العربية وأجهزتها الاستخبارية، لمحاولة السيطرة على فصائل المقاومة الفلسطينية، ومن هذه الأنظمة: النظام السوري ،والعراقي، واللبناني، والأردني[2].

وقد اتهم حبش سوريا علناً بتدبيره، وكان أحمد الفرحان وحميدي العبد الله (أبو علي أربد) قد اجتمعا فعلاً مع مسئولين سوريين في دمشق في أثناء التحضير للانشقاق، ربما بتوسط من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين»[3].

ويذكر أحد قيادي الجبهة: «أن على رأس هذا الانشقاق كان أحمد الفرحان (أبو شهاب) وهو عراقي الجنسية، وأبو حمد وهو سوري الأصل، وأبو الفهود عراقي الجنسية، وأيضاً شخص كان مرتبطاً مع أجهزة المخابرات اللبنانية، ويدعى وليد قدورة[4].

وقد رفض سالم دردونة هذا الاتهام قائلاً: « أنه افتراء إعلامي» مدعماً قوله «بأنه بعد عملية الانشقاق لم تجد الجبهة الشعبية الثورية أية أموال، وكان هذا الفصيل

(١) عبد القادر ياسين: الانشقاق الثالث...، مرجع سبق ذكره، ص١٢٧.

(٢) مقابلة مع محمد العجرمي، ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٦م. انظر أيضاً حزب العمل الاشتراكي العربي: بيان سياسي حول انشقاق جماعة من أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عنها، بتاريخ ٧/ ٣/ ١٩٧٢م.

(٣) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح... ، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤١.

(٤) جميل المجدلاوي، مقابلة شخصية ١٦/ ٨/ ٢٠٠٥م. في مكتبه بغزة.

يعيش ظروفاً اقتصادية صعبة، ولم يتقاضَ الأعضاء المنشقون أية رواتب من أية جهة وأضاف قائلاً: «إننا متنا من الجوع في الساحات التي تم فيها الانشقاق، مثل الساحة السورية، والتي خرج منها مع الانشقاق ثلاثة أرباع الجبهة الشعبية، والنسبة نفسها خرجت من الساحة اللبنانية، إضافة إلى المؤيدين في الساحات الخارجية، وأضاف أن بعض الأنظمة مثل: ليبيا والعراق، بعثت وفوداً إلى قيادة المنشقين لتتبناها وتدعمها مالياً وسياسياً لكن الجبهة الشعبية الثورية رفضت هذا العرض»[1]. وعبر بعض مقاتلي الجبهة الثورية الحدود لسرقة الماشية، أو لجمع الطعام من إسرائيل، بينما نظم أحد كوادرها القياديين مسئول الأمن السابق في الجبهة الشعبية يونس البجيرمي (أبو أحمد يونس) عمليات سطو على المصارف والمتاجر اللبنانية[2].

ومن هنا يرجح الباحث أن هناك جهات خارجية دعمت هذا الانشقاق، خاصة أنه وقع أثناء عقد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مؤتمرها الثالث. والجدير بالذكر أن المؤتمر قد قرر وقف العمليات العسكرية الخارجية، وهو أهم مطلب للمنشقين، لذلك لا يوجد مبرر للانشقاق.

وقد عرض حبش التحليل الذي خرج به المؤتمر الثالث لعملية الانشقاق، والذى أرجعه إلى عامل ذاتي، هو كون الجبهة في هذه المرحلة «تنظيماً يسارياً راديكالياً لم تكمل عملية التحول إلى حزب ماركسي – لينني بالإضافة إلى عوامل موضوعية، تتعلق بالأزمة التي كانت تعيشها حركة المقاومة، ومحاولات تقويضها من الداخل بواسطة بعض الدول العربية»[3].

(١) سالم دردونة، مقابلة شخصية، ٨/٦/٢٠٠٦.

(٢) يزيد الصايغ: الكفاح المسلح...، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٣.

(٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، مرجع سبق ذكره، ص٤٣.

والفارق في هذا الانشقاق أنه لم يكن بمستوى الانشقاقات الأخرى إذ إن هؤلاء لم يستمروا طويلاً، وكان العامل المالي أحد أسباب انتهاء هذا الفصيل الذي تفرقت عناصره. ولم يبق منه إلاّ مجموعة قليلة من الأعضاء. وبحلول منتصف عام ١٩٧٣م كشف من تبقى من الأعضاء من المكتب السياسي، واللجنة المركزية، وقيادة إقليم لبنان، والقيادة والكوادر في صور عن وجود خلافات مستمرة عائدة إلى غياب الوحدة النظرية والثقافية، واتهموا أحمد الفرحان بتصرفات مريبة، مثل: إقامة علاقات مع الرئيس الليبي معمر القذافي «المعادي للماركسية» وأعلنوا حل «الجبهة الثورية لتحرير فلسطين» فانضم بعضهم إلى «الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين» أو إلى جبهة النضال الشعبي« أو الجبهة الشعبية- القيادة العامة»[1]. وقسم منهم التحق بجبهة التحرير الفلسطينية، وآخر مع «رابطة الشغيلة اللبنانية »حزب لبناني« بينما عاد آخرون من بينهم يونس البجيرمي[*]. إلى صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[2].

وعلى أية حال فإن تفسخ هذا التنظيم قد نجم عن عدم وجود وحدة فكرية سياسية تنظيمية لدى كوادره وقيادته، وبالتالي فإن اندثاره هو دليل علمي على عدم صحة الجوهر السياسي النظري الذي ارتكزوا عليه في عملية انشقاقهم.

من خلال ما تقدم يتضح أن طابع القاعدة الاجتماعية الطبقية، والطبيعية للجبهة

(١) الصايغ: الكفاح المسلح، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٣.

(*) في عام ١٩٧٧م ، تم اكتشاف أنه كان مسئولاً عن عدد من عمليات السطو المسلح في لبنان، كذلك أخضع للتحقيق الأمني من قبل الجبهة، فأظهر التحقيق بأنه أمر باغتيال زميل له في المكتب السياسي، وهو عبد الوهاب الطيب وزوجته خالدية خالد فتم إعدامه عقاباً على تلك الجريمة .
أنظر : يزيد الصايغ، الكفاح المسلح، مرجع سبق ذكره، ص ٤٤٣.

(٢) أكد هذه المعلومات جميل المجدلاوي، مقابلة شخصية ١٦/ ٨/ ٢٠٠٥ في مكتبه بغزة، ومحمد سلمان، مقابلة شخصية ٢٢/ ٩/ ٢٠٠٦، وسالم دردونة: مقابلة شخصية. ٨/ ٦/ ٢٠٠٦.

الشعبية، وأرضيتهم الفكرية والسياسية قد عكست ذلك بشكل شمولي في حياة الجبهة ونشاطها، ويمكن القول إن عدم الانسجام الفكري والتنظيمي أدى إلى وجود أجنحة وتيارات وتكتلات متصارعة فيها، فالفرع الفلسطيني لحركة القوميين العرب (شباب الثأر) ينطبق عليه ما ينطبق على «حركة القوميين العرب» بشكل عام لكونه تنظيماً برجوازياً صغيراً، يتبنى الفكر المثالي القومي، وقد مر بتطورات فكرية متعددة وصولاً إلى تبنيه الاشتراكية العلمية في تموز/ يوليو ١٩٦٧م.

وفي الاتجاه نفسه فإن منظمة « أبطال العودة » لا تشكل تنظيماً سياسياً له بنية كاملة، وهو مجموعة من عناصر الحركة، أفرزت للعمل في جيش التحرير الفلسطيني للاستفادة من إمكانياته من الأسلحة، والمال، والتغطية السياسية. وجبهة التحرير الفلسطينية: هي تنظيم وطني، كان محصوراً في الساحة السورية، لا يملك نظرية ثورية، ويهتم بالدرجة الأساسية بالتنشئة العسكرية لأعضائه، ومجموعة الضباط المستقلين: وهم عناصر من الشريحة العليا للبرجوازية الصغيرة، ذات النشأة العسكرية التقليدية وذات التفكير الناصري. فكان لهذا التحالف (الجبهة الشعبية) هيئات قيادية مشتركة، وخط سياسي عام. وفي ظل التشكيلة غير المنسجمة فكرياً، وأيديولوجياً، وسياسياً، وتنظيمياً، ابتدأ صراع حاد حول طبيعة الجبهة وتطورها مما أدى في نهاية الأمر إلى الانشقاقات والتناقضات الداخلية التى أضرت كثيراً بالعمل الوطنى الفلسطينى.

روافد وانشقاقات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حتى ١٩٨٧